متون أعلام المالكية 2

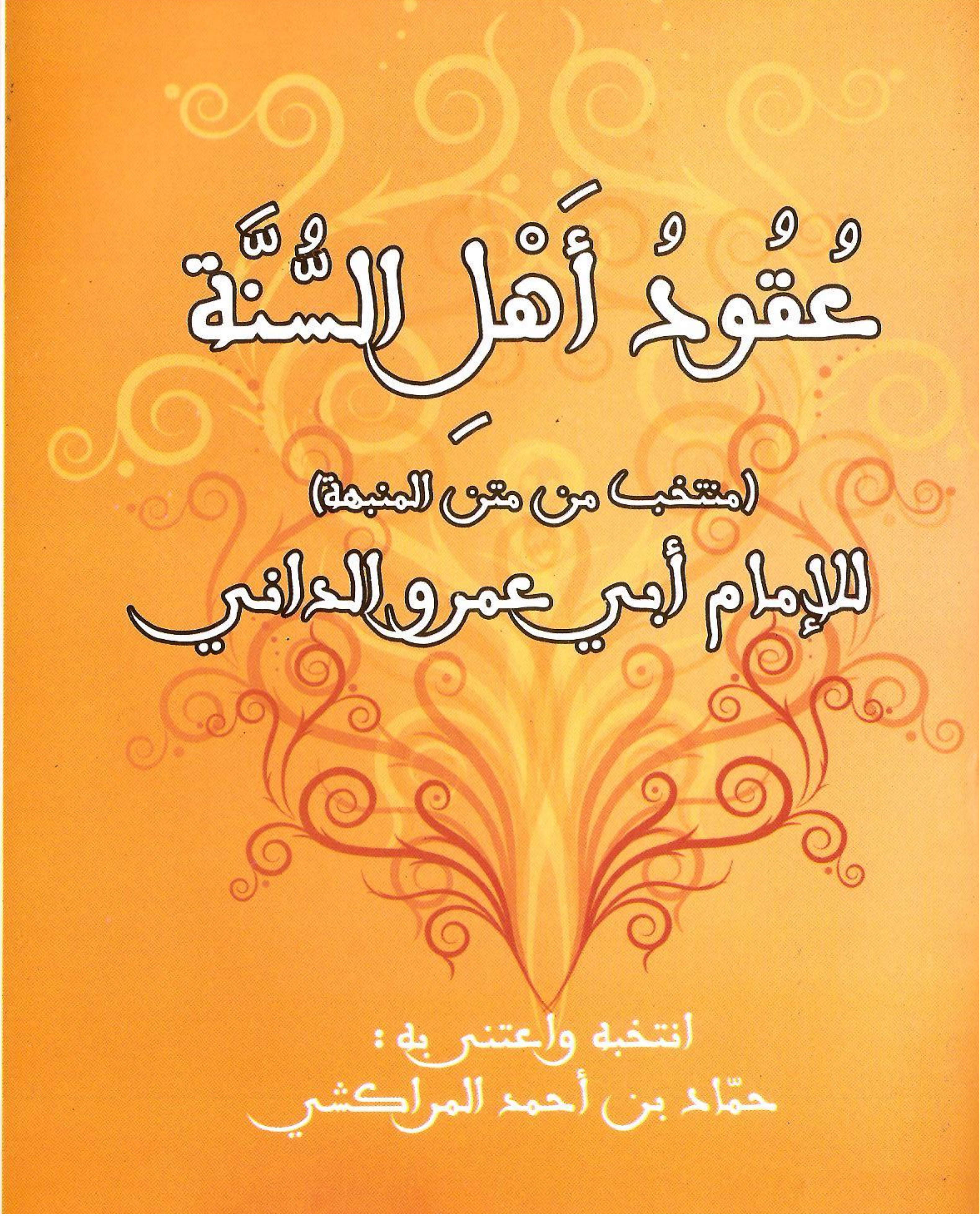

عُقُودُ أَهْلِ السُّنَّة

(منتخب من متن المنبهة)

للإمام أبي عمرو الداني

انتخبه واعتنى به :

حمّاد بن أحمد المراكشي

متون أعلام المالكية (2)

عُقُودُ أَهْلِ السُّنَةِ

(منتخب من متن المنبهة)

للإمام أبي عمرو الداني

انتخبه واعتنى به:

حمّاد بن أحمد المراكشي

مع تحيات إخوانكم في الله
ملتقى أهل الحديث
ahlalhdeeth.com
خزانة التراث العربي
khizana.co.nr
خزانة المذهب المالكي
malikiaa.blogspot.com

الطبعة الأولى
ربيع الأول 1431 - فبراير 2010
الايداع القانوني : 2010MO0582

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

يعتبر المقرئ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني المالكي (371- 444هـ/ 981-1052م)؛ أحد أعلام الأمة وأئمتها الكبار الذين أنتجهم القطر الأندلسي؛ قال صاحب الصلة (399/1): "كان أحد الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره ومعانيه وطرقه وإعرابه، وجمع في معنى ذلك كله تواليف حساناً مفيدة يكثر تعدادها ويطول إيرادها، وله معرفة بالحديث وطرقه وأسماء رجاله ونقلته، وكان حسن الخط، جيد الضبط من أهل الحفظ والعلم والذكاء والفهم، متفنناً بالعلوم جامعاً لها معتنياً بها، وكان ديناً فاضلاً، ورعاً سنياً"اهـ.

له مؤلفات كثيرة زادت على (150) مصنفا، جلها في علم القراءات والتجويد[1]؛ من أهمها: أرجوزة "المنبهة"؛ وهي عبارة عن شعر من الرجز، عدد أبياته: (1304)، وموضوعها: أسماء القراء والرواة وأصول القراءات وأحكام التجويد **وعقد الديانات**، ذكر الحميدي أنها نظم لسائر مؤلفاته، وقال شيخنا لحسن وجاج: "تعتبر المنبهة من التراث المغربي الأصيل في ميدان **عقائد أهل السنة** وفي آداب رواية العلم وفي أصول القراءات وفي تجويد القرآن الكريم، وتتمثل هذه الأصالة في كونها أصلا لغالب ما ألفه المغاربة في هذا المجال"اهـ.

وقد قام شيخنا بتحقيق نصها على أربعة نسخ خطية، وعلق عليها تعليقات مفيدة وافية، وتوج ذلك بدراسة عميقة ضافية، وكان هذا العمل موضوع أطروحته لنيل دكتوراه الدولة في العلوم الإسلامية.

و لم يكتب طبع الكتاب إلا في ربيع الأول من عام (1430هـ)، وكانت قد طبعت المنبهة قبلُ عام (1420هـ) بعناية الأستاذ محمد بن مجقان؛ أحد الإخوة الجزائريين جزاه الله خيرا، وقد اعتمد في طبعته على نسختين خطيتين.

---

[1] انظر كتاب: "مؤلفات الإمام أبي عمرو الداني" للدكتور عبد الهادي حميتو وفقه الله.

فصل

وقد انتخبت من هذا الشعر العلمي الأصيل: الأبيات المتعلقة بالعقيدة؛ وعِدّتها (88) بيتا، ذكرها الداني في الترجمات رقم (22-23-24) من تراجم أرجوزته.

وحليتُ تلك الأبيات بتعليقات نفيسة من المصدرين التاليين:

1- كتاب "الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات"، للمصنف نفسه (الداني).

2- تعليقات شيخنا وجاج على متن المنبهة.

وقد صدّرتُ النقل عن المصدر الأول بقولي: "قال المصنف" أو "قال في الرسالة"، وعن الثاني –أحيانا– بقولي: "قال شيخنا"، ولم ألتزمه، وما كان من كلامي صدرته بكلمة: "قلت"، أو جعلته بين قوسين [..].

وبهذا أرجو أن أكون قد وُفّقت لتقريب أحد أقدم وأهم متون العقيدة السلفية كما قررها أئمتنا المالكية رحمهم الله، سيرا على منهاج الإمام مالك في تبني معتقد السلف، واجتناب العقائد الاعتزالية والكلامية التي طالما توهم كثيرون أنها جاءت لنصرة الدين في مواجهة شبهات الفلاسفة والملحدين، والحق أنها تأثرت بقواعدهم واصطبغت بفلسفاتهم أكثر من تأثيرها هي في تلك الفلسفات، ويكفي أنها كادت تهجر نصوص القرآن والسنة واستبدلت بها قواعد فلسفية ومنطقية يعتقد أصحابها أنها يقينيات ومسلمات عقلية ينصرون بها الدين(2).

---

(2) الناظر في كتب العقائد المؤسسة على الطرق الكلامية يجدها تُغَلّب الاستدلال بالعقليات وقواعد المنطق على الاستدلال بالنصوص.

رام نفعا فأضر من غير قصد *** ومن البر ما يكون عقوقا

وفي هذا السياق اضطر متأخرو الأشاعرة إلى التسليم للمعتزلة بكثير مما كان يخالفهم فيه متقدموهم؛ كرد العقائد الثابتة بأخبار الآحاد، والتعسف في استعمال التأويل، وتقديم العقل على النقل، والزعم بأن مذهب الخلف أعلم وأحكم، واستبدال ألفاظ النصوص والآثار بمصطلحات الفلسفة والمنطق .. إلخ.

وهكذا لم يتمكنوا من تحقيق هدفهم (كسر المعتزلة)، ولم يبقوا سالمين في معتقدهم؛ لا هم للدين نصروا ولا هم للمعتزلة كسروا.

فصل

والمراد بالكلام هنا: إثبات العقيدة بالأقيسة العقلية والقواعد المنطقية، وقد تتابع السلف من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم على التحذير منه، وعدّه علما منحرفا وإن كان قصد أصحابه صحيحا، وإن اشتمل على بعض الصواب.

وقد غلا بعض المعجبين به إلى حد قولهم: (من لم يعرف الله بعلم الكلام لم يصح إيمانه)؛ ذكره القرطبي في المفهم، وهو منقول عن أبي إسحاق الإسفراييني كما في فتح الباري (433/13)، وجزم الغزالي في "الاقتصاد" (ص.4) بأنه لا سبيل لرد شبه الزائغين إلا به.

قال صديق حسن خان: قال أبو الخير في الموضوعات: "هو علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها"، وللسيد الإمام العلامة محمد بن الوزير كتاب "ترجيح أساليب القرآن لأهل الإيمان على أساليب اليونان وبيان ذلك بإجماع الأعيان بأوضح التبيان"، وكتاب "البرهان القاطع في إثبات الصانع وجميع ما جاءت به الشرائع"؛ رد في هذين الكتابين على المتكلمين والكلام وأثبت أن جميع مسائل هذا العلم تثبت بالسنة

والقرآن، ولا يحتاج معهما إلى قوانين المتكلمين وقواعد الكلام، وهما نفيسان جدا"اهـ (أبجد العلوم ص.480)[3].

ولله ذر إمامنا مالك رحمه الله؛ الذي كان حكيما في التعامل مع طرق الكلاميين.

وقد رسم في ذلك منهجا يعض عليه بالنواجذ:

قال معن: انصرف مالك يوماً إلى المسجد وهو متكئ على يدي، فلحقه رجل يقال له أبو الجويرة، يتهم بالإرجاء، فقال: يا أبا عبد الله اسمع مني شيئاً أعلمك به وأحاجك وأخبرك برأي.

فقال: احذر أن أشهد عليك.

قال: والله ما أريد إلا الحق، اسمع فإن كان صواباً فقل إنه، أو فتكلم.

قال: فإن غلبتني.

قال: اتبعني.

قال: فإن غلبتك.

قال: أتبعك.

قال: فإن جاء رجل فكلمناه فغلبنا.

قال: اتبعناه.

---

[3] وانظر: كتاب "ذم الكلام وأهله" للهروي (م.481)، و"الرد على المنطقيين" لابن تيمية (م.728)، و"صون المنطوق والكلام عن فن المنطق والكلام" للسيوطي (م.911). و"براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المبتدعة" للدكتور عبد العزيز الحميدي، بالإضافة إلى ما كتبه الإمام ابن تيمية في الموضوع في مواطن كثيرة.

فقال له مالك: يا عبد الله؛ بعث الله محمداً بدين واحد، وأراك تنتقل، وقال عمر بن عبد العزيز: من جعل دينه عرضاً للخصومات أكثر التنقل"(4).

وهذا ما حذا بالإمام أبي الحسن الأشعري (م.324) إلى نبذ تلك المسالك وترك ما هنالك، والرجوع(5) إلى عقيدة السلف كما بين ذلك في كتبه؛ كقوله في كتاب "الإبانة": "قولنا الذي به نقول وديانتنا التي بها ندين: التمسك بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون وبما كان عليه أحمد بن محمد بن حنبل نضَّر الله وجهه قائلون، **ولما خالف قوله مجانبون**؛ لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال، وأوضح به المنهاج وقَمَع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم وكبير مفهم وعلى جميع أئمة المسلمين"اهـ(6).

وهذا الكلام –ومثله– لم يعجب الأشاعرة الكلاميين الذين يرفضون حقيقة رجوع الأشعري من منهج أهل الكلام إلى منهج السلف، ولذلك حاولوا التشويش على كتاب الإبانة؛ تارة بالتشكيك في نسبته إلى مؤلفه، وتارة بادعاء التحريف فيه، وتارة بادعاء أنه ألّفه قبل كتاب "اللمع" الذي قرر فيه العقيدة الكلامية؛ وانظر لرد ذلك كله بالبراهين الجلية:

- كتابَيْ "مقالات الإسلاميين" و"رسالة إلى أهل الثغر"، للأشعري نفسه.
- و"رسالة ابن درباس في الذب عن الأشعري".

---

(4) ترتيب المدارك للقاضي عياض (87/1).

(5) جزم بعض الباحثين أن رجوع الأشعري من المناهج الكلامية في إثبات العقائد إلى طريقة السلف؛ كان نسبيا وأغلبيا وليس كليا. قلت: العبرة بالغالب، وإذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث، وقد كان الإمام موفقا إلى حد كبير في نصرة النقل بالعقل، فرحم الله أبا الحسن وسائر أئمة الإسلام وعلمائه، وغفر الله لنا ولهم الزلات والتقصير، وجل من لا يخطئ ولا يضل.

(6) كتاب الإبانة، نقلا عن كتاب: "القاعدة المراكشية" للإمام ابن تيمية (ص. 73).

- و"معتقد الإمام أبي الحسن الأشعري ومنهجه" للدكتور عمر الأشقر.
- ومقدمة العلامة حماد الأنصاري لكتاب المقالات.
- ومقدمة الدكتور عبد الله الجنيدي لكتاب "رسالة إلى أهل الثغر".
- و"موقف ابن تيمية من الأشاعرة" للدكتور عبد الرحمن المحمود (331/1-434).
- و"الأشاعرة في ميزان أهل السنة" للشيخ فيصل الجاسم (ص.687-700).

ومن الأدلة على تقدُّم تأليف اللمع على الإبانة، أنه كان من الكتب التي دفعها الأشعري للناس حين تبرأ من المعتزلة(7).

أما كتاب الإبانة فلم يؤلفه إلا بعد أن دخل بغداد ولقي الإمام الساجي وسمع منه تفصيل معتقد الإمام أحمد الذي هو معتقد السلف.

والرجوع عن المناهج الكلامية مروي عن أبرز وأشهر من خاض فيها من العلماء؛ كأبي محمد الجويني (م.438)، وولده أبي المعالي الجويني الملقب بإمام الحرمين (م.478)، وتلميذ هذا الأخير؛ الغزالي (م.505)، وابن أبي الحديد (م.469)، والشهرستاني (م.549)، والرازي (م.606)، والخونجي (م.646)، وشمس الدين الخسروشاهي (م.652) تلميذ الرازي، رحمهم الله، على تفاوت بينهم في ذلك.

قال الإمام أبو محمد الجويني مبينا رجوعه من الأشعرية الكلامية إلى السلفية:

"كنت برهة من الدهر متحيرا في ثلاث مسائل: مسألة الصفات ومسألة الفوقية ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد، وكنت متحيرا في الأقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك من تأويل الصفات وتحريفها أو إمرارها والوقوف فيها أو إثباتها بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل؛ فأجد النصوص في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ناطقة منبئة بحقائق هذه الصفات، ثم أجد المتأخرين من المتكلمين

---

(7) انظر: تبيين كذب المفتري (ص.39).

في كتبهم منهم من يؤول الاستواء بالقهر والاستيلاء ويؤول النزول بنزول الأمر ويؤول اليدين بالقدرتين أو النعمتين ويؤول القدم بقدم صدق عند رهم وأمثال ذلك، ثم أجدهم مع ذلك يجعلون كلام الله تعالى قائما بالذات بلا حرف ولا صوت، يجعلون هذه الحروف عبارة عن ذلك المعنى القائم ..

وممن ذهب إلى هذه الأقوال وبعضها قوم لهم في صدري مترلة مثل طائفة من فقهاء الأشعرية الشافعيين، لأني على مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه عرفت فرائض ديني وأحكامه فأجد مثل هؤلاء الشيوخ الأجلة يذهبون إلى مثل هذه الأقوال وهم شيوخي ولي فيهم الاعتقاد التام لفضلهم وعلمهم، ثم إنني مع ذلك أجد في قلبي من هذه التأويلات حزازات لا يطمئن قلبي إليها وأجد الكدر والظلمة منها وأجد ضيق الصدر وعدم انشراحه مقرونا بها، فكنت كالمتحير المضطرب في تحيره المتململ من قلبه في تقلبه وتغيره.

وكنت أخاف من إطلاق القول بإثبات العلو والاستواء والنزول مخافة الحصر والتشبيه ومع ذلك فإذا طالعت النصوص الواردة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أجدها نصوصا تشير إلى حقائق هذه المعاني وأجد الرسول صلى الله عليه وسلم قد صرح بها مخبرا عن ربه واصفا له بها وأعلم بالاضطرار أنه صلى الله عليه وسلم كان يحضر في مجلسه الشريف؛ العالم والجاهل والذكي والبليد والأعرابي والجافي ثم لا أجد شيئا يعقب تلك النصوص التي كان يصف ربه بها لا نصا ولا ظاهرا مما يصرفها عن حقائقها ويؤولها كما تأولها هؤلاء مشايخي الفقهاء المتكلمين، ولم أجد عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يحذر الناس من الإيمان بما يظهر من كلامه في صفته لديه من الفوقية واليدين وغيرها ولم ينقل عنه مقالة تدل على أن لهذه الصفات معاني أخر باطنة غير ما يظهر من مدلولها مثل فوقية المرتبة ويد النعمة والقدرة وغير ذلك وأجد الله عز وجل يقول: **{الرحمن على العرش استوى}** **{خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش}** **{يخافون رهم من فوقهم}** **{إليه يصعد الكلم الطيب}**.

.. ثم قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح للجارية: "**أين الله؟**" فقالت: في السماء، فلم ينكر عليها بحضرة أصحابه كيلا يتوهموا أن الأمر على خلاف ما هو عليه بل أقرها وقال: "**أعتقها فإنها مؤمنة**"[8].

قال: "إذا علمنا ذلك واعتقدناه تخلصنا من شبه التأويل وعمارة التعطيل وحماقة التشبيه والتمثيل وأثبتنا علو ربنا سبحانه وفوقيته واستواءه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته، والحق واضح في ذلك والصدور تنشرح له؛ فإن التحريف تأباه العقول الصحيحة مثل تحريف الاستواء بالاستيلاء وغيره.

.. والذي شرح الله صدري له في حال هؤلاء الشيوخ الذين أوّلوا الاستواء بالاستيلاء والنزول بنزول الأمر واليدين بالنعمتين والقدرتين هو علمي بأنهم ما فهموا في صفات الرب تعالى إلا ما يليق بالمخلوقين؛ فما فهموا عن الله استواء يليق به ولا نزولا يليق به ولا يدين تليق بعظمته بلا تكييف ولا تشبيه، فلذلك حرفوا الكلم عن مواضعه وعطلوا ما وصف الله تعالى نفسه به، ونذكر بيان ذلك إن شاء الله تعالى:

لا ريب أنا نحن وإياهم متفقون على إثبات صفات الحياة والسمع والبصر والعلم والقدرة والإرادة والكلام لله، ونحن قطعا لا نعقل من الحياة إلا هذا العرض الذي يقوم بأجسامنا وكذلك لا نعقل من السمع والبصر إلا أعراضا تقوم بجوارحنا، فكما أنهم يقولون حياته ليست بعرض وعلمه كذلك وبصره كذلك هي صفات كما تليق بنا؛ فكذلك نقول نحن: حياته معلومة وليست مكيفة وعلمه معلوم وليس مكيفا وكذلك سمعه وبصره معلومان ليس جميع ذلك أعراضا بل هو كما يليق به.

---

[8] رواه مسلم. وقارن أيها القارئ بين إثبات الإمام الجويني لهذا الحديث، وتحريف عبد الله الغماري للفظه ومعناه في تعليقه على المجلد السابع من التمهيد (ص.135)، وقوله فيه: "أما كون الله في السماء، فكانت عقيدة العرب في الجاهلية"اهـ!!!.

ومثل ذلك بعينه فوقيته واستواؤه ونزوله.

.. وليس من الإنصاف أن يفهموا في الاستواء والنزول والوجه واليد صفات المخلوقين فيحتاجوا إلى التأويل والتحريف، فإن فهموا في هذه الصفات ذلك فيلزمهم أن يفهموا في الصفات السبع صفات المخلوقين من الأعراض فما يلزمونا في تلك الصفات من التشبيه والجسمية نلزمهم به في هذه الصفات من العرضية وما ينزهوا ربهم به في الصفات السبع وينفون عنه عوارض الجسم فيها كذلك نحن نعمل في تلك الصفات التي ينسبونا فيها إلى التشبيه سواء بسواء، ومن أنصف عرف ما قلنا واعتقده وقبل نصيحتنا بإثبات جميع صفاته هذه وتلك، ونفى عن جميعها التشبيه والتعطيل والتأويل والوقوف، وهذا مراد الله تعالى منا في ذلك لأن هذه الصفات وتلك جاءت في موضع واحد وهو الكتاب والسنة فإذا أثبتنا تلك بلا تأويل وحرفنا هذه وأولناها كنا كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض وفي هذا بلاغ وكفاية إن شاء الله تعالى"اهـ(9).

وأما ولده إمام الحرمين؛ فقد "امتلأت كتبه بذكر تأويلات الصفات، وما يتعلق بتقديم العقل على النقل، وما يتعلق بأفعال العباد وغيرها حتى أصبحت كتبه هي المصدر الوحيد والأساسي لمذهب الأشاعرة.

وبعد هذا المشوار الطويل الذي قضاه في الخوض في علم الكلام وفلسفته، بدت علامات الحيرة والاضطراب على أفكاره، فهداه الله تعالى إلى الحق، وإلى مذهب سلف هذه الأمة المشهود لهم بالخيرية.

فعرف أن السلف الذين كفوا ألسنتهم عن هذه الآراء والأفكار، هم أصحاب المذهب السليم والمنهج الحكيم؛ فحرم التأويل الذي امتلأت به كتبه، وأعلن البراءة منه، واستدل على ما ذهب إليه من تحريم بإجماع السلف ومن تبعهم بإحسان.

---

(9) مجموعة الرسائل المنيرية (ص.176–182).

قال رحمه الله في بيان هذا: "وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردها، وتفويض معانيها[10] إلى الرب تعالى ...

والذي نرتضيه رأيا وندين الله به عقلا اتباع سلف الأمة؛ فالأولى الاتباع وترك الابتداع، والدليل السمعي القاطع في ذلك أن إجماع الأمة حجة متبعة وهو مستند معظم الشريعة ... فلو كان تأويل هذه الآي والظواهر مسوغا ومحتوما لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة.

وإذا انصرم عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل، كان ذلك قاطعا بأنه الوجه المتبع، فحق على ذي دين: أن يعتقد تنزه الباري عن صفات المحدثين، ولا يخوض في تأويلات المشكلات، ويكِل معناها إلى الرب تبارك وتعالى ...

ومما أستحسن من كلام إمام دار الهجرة رضي الله عنه وهو مالك بن أنس أنه سئل عن قوله تبارك وتعالى: {**الرحمن على العرش استوى**}.

فقال: "الاستواء معلوم، والكيفية مجهولة، والسؤال عنه بدعة". فلتُجري آية الاستواء والمجيء وقوله تعالى: {**لما خلقت بيدي**} {**ويبقى وجه ربك**} وقوله: {**تجري بأعيننا**} ومما صح من أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم كخبر النزول وغيره على ما ذكرنا"اهـ[11].

وكان لتلميذه الغزالي رحمه الله الموقف نفسه، والمتأمل في كلامه في هذا الباب يشعر أنه لم يكن مطمئنا للمنهاج الكلامي في تقرير المعتقد؛ فإنه مع كونه أشاد به وجزم بأنه ضروري لنصرة الدين، أكد أيضا أنه لا يصلح لأكثر الناس وأنه يشتمل على خطر عظيم، وأنه لا يتكلم فيه إلا نوع من العلماء، ولذلك ألف كتابه: "إلجام العوام عن علم الكلام".

---

[10] قلت: السلف يفوضون الكيف، وليس المعنى.

[11] العقيدة النظامية للجويني (ص.32-33)، وانظر: كتاب: "شعبة العقيدة بين أبي الحسن الأشعري والمنتسبين إليه في العقيدة" لأبي بكر الموصلي.

قال في "الإحياء" (113/1 ط. دار ابن الهيثم): "وليس الطريق في تقويته (أي: الإيمان) وإثباته؛ أن يعلم صنعة الجدل والكلام، بل يشتغل بقراءة القرآن تلاوة، وتفسيره، وقراءة الحديث"اهـ.

وقال أيضا (32/1): "وحاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الأدلة التي ينتفع بها فالقرآن والأخبار مشتملة عليه وما خرج عنهما فهو إما مجادلة مذمومة وهي من البدع وإما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق وتطويل بنقل المقالات التي أكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الأسماع وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شيئا منها مألوفا في العصر الأول وكان الخوض فيه بالكلية من البدع"اهـ.

ثم ذكر أنه صار مأذونا فيه بحكم الضرورة!

ثم اهتدى الغزالي أخيرا إلى ضرورة اجتنابه، وأن مفسدته أعظم من مصلحته.

قال في المصدر نفسه (116/1-117): "وأما منفعته فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه، وهيهات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف، ولعل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوي ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا، فاسمع هذا ممن **خبر الكلام ثم قلاه** بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين، وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم أخر تناسب نوع الكلام وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود"اهـ.

وهكذا زهد الغزالي في تلك (العلوم)، وأقبل على علم السنة النبوية؛ فسمع صحيح البخاري من أبي سهل محمد بن عبد الله الحفصي، وسنن أبي داود السجستاني من الحاكم أبي الفتح الحاكمي الطوسي.

قال تلميذه عبد الغافر الفارسي: "كانت خاتمة أمره إقباله على حديث المصطفى ومجالسة أهله ومطالعة الصحيحين البخاري ومسلم اللذين هما حجة الإسلام"(12).

وما أنفس ما جاء في وصية الإمام الرازي في آخر عمره:

الفلسفية

"لقد اختبرت الطرق الكلامية، والمناهج السلفية، فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدها في القرآن، لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال لله، ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات، وما ذاك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى في تلك المضايق العميقة، والمناهج الخفية، فلهذا أقول: كل ما ثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده ووحدته وبراءته عن الشركاء كما في القدم والأزلية والتدبير والفعالية، فذلك هو الذي أقول به، وألقى الله به، وأما ما انتهى الأمر فيه إلى الدقة والغموض، فكل ما ورد في القرآن والصحاح المتعين للمعنى الواحد فهو كما هو ...

وأقول: ديني متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكتابي هو القرآن العظيم، **وتعويلي في طلب الدين عليهما ...**

وأما الكتب التي صنفتها واستكثرت فيها من إيراد السؤالات، فليذكرني من نظر فيها بصالح دعائه على سبيل التفضل والإنعام، وإلا فليحذف السيء، فإني ما أردت إلا تكثير البحث وشحذ الخاطر"اهـ(13).

---

(12) طبقات الشافعية الكبرى (95/6). ومعلوم أن ابن تومرت (م.540) الذي أفشى علم الكلام في المغرب، وأكره الناس عليه، إنما أخذه عن الغزالي.

(13) ذكر هذه الوصية؛ السبكي في طبقات الشافعية (90/8)، والصفدي في الوافي بالوفيات (250/4)، وابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء (ص.467).

فصل

لعل المتأمل فيما كتبه الإمام الداني في العقيدة يظهر له أنه كان قد تأثر **بعض الشيء** بالعقائد الكلامية التي قررها ونشرها بعض مشايخه من المنتسبين للأشعري؛ كما تدل على ذلك أقواله التالية من كتابه (الرسالة الوافية):

– قوله: "أول ما افترضه الله تعالى على جميع العباد إذا بلغوا حد التكليف: النظر في آياته .."(ص.44) (14).

قلت: تأثُّر الداني في هذه المسألة كان نسبيا؛ فإنه لم ينكر دليل الفطرة، (انظر: (ص.124) من الرسالة الوافية)، كما أنه لم يَبنِ المسألة على مناهج الكلاميين، بل فهمها من النص، فلعلّه قصد ما هو متقرر عند أهل السنة من مشروعية النظر في آيات الله لتقوية الإيمان والاستزادة من معرفة الله تعالى(15)، **إلا أنه عبر بتعبير الكلاميين**؛ فذكر الأوَّلية والإيجاب.

والصواب عند أهل السنة؛ التفريق بين النظر باعتباره أول الواجب على المكلف وبين النظر طلبا لتقوية الإيمان وتحصيل اليقين، ومنهم من أوجبه على من فقد دليل الفطرة، وقد نصوا على أن أول واجب؛ هو: شهادة أن لا إلاه إلا الله وأن محمدا رسول الله؛ وهو الحق الذي دلت عليه السنة.

قال شيخنا الدكتور حسن العلوي معلقا على قول الإمام الخطابي: "أول ما يجب على من يلزمه الخطاب؛ أن يعلم أن للعالم بأسره صانعا، .. وقد يجب على كل متدين بالإسلام أن

---

(14) قال أبو جعفر السمناني شيخ أبي الوليد الباجي: "إيجاب النظر بقية بقيت على الشيخ أبي الحسن الأشعري من الاعتزال". وانظر في توضيح المسألة عرضا ونقدا؛ كتاب: "موقف ابن تيمية من الأشاعرة" للدكتور عبد الرحمن المحمود (3/934-946).

(15) قال أبو المظفر السمعاني: "لا ننكر النظر قدر ما ورد به الكتاب والسنة، لينال المؤمن بذلك زيادة اليقين".

يكون مصدر اعتقاده إياه عن نظر واستدلال"[16].

قال شيخنا: "الخطابي ـــ رحمه الله ـــ رغم أن كلامه **يوهم موافقته أهل الكلام** إلا أنه لا يتفق معهم على **المنهج الذي اتخذوه للمعرفة**، بل قد ذمه وحذر منه وأعرض عنه"اهـــ.

وأرى أن هذا الكلام ينطبق على الإمام الداني[17].

- وفي كلامه عن حقيقة الإيمان ذكر الداني قولين؛ قول أهل السنة وقول الأشاعرة، (ص.81-83)، وكرر ذلك في المنبهة؛ انظر: البيت (33).

وقد بينت في التعليق على هذا البيت أن بعض أهل السنة عرّفوا الإيمان بالتصديق، مع كونهم يشهدون أنه قول وعمل، ونقلت توجيه ذلك عن العلامة الحكمي.

- قوله في (الصفحة 57) بعد **إثبات صفة النزول**: "وقال بعض أصحابنا ينزل أمره تبارك وتعالى، واحتج بقوله عز وجل: {**الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن**}، وكذا روى حبيب عن مالك ابن أنس رحمه الله"[18].

- وقال بعد ذكر صفات المحبة والرضا والسخط والرحمة: "جميع هذه الصفات ترجع إلى إرادته في عبده ومشيئته في خلقه" (ص.50)، وكرر ذلك في (ص.64).

والمتكلمون يزيدون على هذا؛ فيجعلون تلك الصفات هي عين الإرادة، ولا يقتصرون على قولهم: "ترجع إلى إرادته".

---

[16] شعار الدين وبراهين المسلمين.

[17] انظر: كتاب: "الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة"؛ لشيخنا الدكتورحسن العلوي (ص.77) حفظه الله.

[18] قلت: حبيب قال فيه النسائي: أحاديثه كلها موضوعة عن مالك وغيره.

قال ابن الباقلاني: ".. **المراد** بجميع ذلك؛ **إرادة إثابة** من رضي عنه وأحبه، وعقوبة من غضب عليه وأغضبه، **لا غير**"[19].

والفرق واضح بين العبارتين؛ فلعل الداني جرى على ما تقرر عند أهل السنة؛ من أن الصفات الفعلية تابعة لمشيئة الله، و لم يقصد ما يعتقده الكلاميون من أن الصفات الفعلية تفسر بالإرادة عينها، لكن يبقى المتعين اجتناب الألفاظ المتشابهة، التي تحتمل معنى حقا وآخر باطلا.

- وأما استعماله أنواعا من النفي الكلامي؛ كقوله: "استواءه جل جلاله: علوه بغير كيفية، ولا تحديد، ولا مجاورة ولا مماسة" (ص.53).

وقوله في اليدين: "وليستا بجارحتين ولا ذواتي صورة" (ص.48).

وقوله في الرؤية: "ورؤيته تعالى بغير حد ولا نهاية ولا مقابلة ولا محادة ". (ص.78).

فيقال في ذلك مثل ما قاله الإمام ابن باز تعليقا على قول الإمام الطحاوي: "تعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات والجهات الست كسائر المبتدعات".

قال: "هذا الكلام فيه إجمال قد يستغله أهل التأويل والإلحاد في أسماء الله وصفاته وليس لهم بذلك حجة، لأن **مراده رحمه الله تنزيه الباري** سبحانه عن مشابهة المخلوقات، لكنه أتى بعبارة مجملة تحتاج إلى تفصيل حتى يزول الاشتباه؛ فمراده بالحدود؛ يعني التي يعرفها البشر؛ فهو سبحانه لا يعلم حدوده إلا هو سبحانه، لأن الخلق لا يحيطون به علما، كما قال عز وجل في سورة طه: {**يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما**}، ومن قال من السلف بإثبات الحد في الاستواء أو غيره فمراده حد يعلمه الله سبحانه ولا يعلمه العباد ..

قال: "وأهل البدع يطلقون مثل هذه الألفاظ لينفوا بها الصفات بغير الألفاظ التي تكلم بها وأثبتها لنفسه حتى لا يفتضحوا وحتى لا يشنع عليهم أهل الحق، **والمؤلف الطحاوي رحمه**

---

[19] الإنصاف (ص.61).

الله لم يقصد هذا المقصد لكونه من أهل السنة المثبتين لصفات الله، وكلامه في هذه العقيدة يفسر بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا، ويفسر مشتبهه بمحكمه"اهـ.(20)

قلت: والذي يمكن أن نستشفه من نقل بعض علماء أهل السنة لبعض ما ذكره الكلاميون؛ أن أولئك العلماء كانوا يعتبرون المتكلمين الأوائل من أصحاب الأشعري ناصرين لعقيدة السلف في وجه العقائد الفلسفية والاعتزالية، ومنهم شيخ الداني؛ أبو بكر ابن الباقلاني (م.403)، وهو أحد أئمة الأشاعرة الذين يحكي أبو عمرو بعض أقوالهم في المعتقد(21).

قال عنه الإمام الذهبي: "كان سيفا على المعتزلة والرافضة والمشبهة، وغالب قواعده على السنة".(22)

وقال شيخ الإسلام: "هو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري؛ ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده" [الفتاوى 98/5].

ومما يؤكد قرب ابن الباقلاني من منهج السلف أنه كان يثبت الصفات الذاتية الخبرية؛ كالوجه واليدين والعينين، كما في كتابه "تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل" (ص.262-263)، وفي (ص.301) أثبت صفة الرؤية، وكذا في كتابه (الإنصاف ص.37 و72 و73 و240)، وهذا كله خلافا لمن جاء بعده من الأشاعرة.

ويمكن أن نقول بأن تأثر الإمام الداني كان -في الأغلب- لفظيا أكثر من كونه معنويا؛ وبتعبير آخر: أكثر صور تأثره أنه استعمل بعض ألفاظ المتكلمين التي رآها صحيحة ولم ير في معانيها مخالفة لما تقرر عند أهل السنة، والحق أنها مشتملة على مخالفات ظهرت بشكل أوضح بعد ذلك، والله تعالى أعلم.

---

(20) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز (78/2-79).

(21) قال الذهبي: "أخذ القاضي أبو بكر المعقول عن أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن مجاهد الطائي صاحب أبي الحسن الأشعري". سير أعلام النبلاء (191/17).

(22) سير أعلام النبلاء (193/17).

فصل

وفي المقابل نلاحظ غياب ذلك التأثر عند أئمة المالكية الذين عاصروا الداني؛ كالإمام ابن أبي زيد القيرواني (م.386)، والإمام ابن أبي زمنين (م.399) وهو شيخ الداني أيضا، والإمام ابن عبد البر (م.463)، وغيرهم، رحم الله الجميع.

بل إن هؤلاء الأئمة كانت لهم كلمات ومواقف مشرفة في نقد العقائد الكلامية:

✿ قال ابن أبي زيد في آخر كتابه (النوادر والزيادات) (554-552/14):

"ومن سماع ابن القاسم قال مالك: أشد آية على أهل الاختلاف من أهل الأهواء لَقوله سبحانه: **{يوم تبيض وجوه وتسود وجوه} وتأويلها على أهل الأهواء.**

قال سحنون: قال ابن غانم في كراهية مجالسة **أهل الأهواء:** أرأيت من قعد إلى سارق وفي كمه بضاعة أما يحرز منه ليلا يغتاله؟ فالدين أولى"اهـ.

قال الإمام أبو بكر محمد ابن خويز منداد المالكي(23) (م.390) في كتاب الشهادات من كتابه "الخلاف": "**أهل الأهواء** عند مالك وسائر أصحابنا هم **أهل الكلام**؛ فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع؛ أشعريا كان أو غير أشعري، ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبدا، ويهجر ويؤدب على بدعته.."اهـ(24).

وقال ابن أبي زيد في الجامع: "مما أجمعت عليه الأمة من أمور الديانة ومن السنة التي خلافها بدعة وضلالة؛ أن الله تبارك اسمه له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، لم يزل بجميع صفاته وأسماءه، .. وأن كلامه صفة من صفاته، ليس بمخلوق فيبيد، ولا صفة لمخلوق فتبيد، وأنه عز وجل كلم موسى بذاته، وأسمعه كلامه، **لا كلاما قام في غيره**، وأنه يسمع ويرى،

---

(23) قال الصفدي في ترجمته: "كان يجانب الكلام وينافر أهله"اهـ.

(24) جامع بيان العلم وفضله (117/2).

ويقبض ويبسط، وأن يديه مبسوطتان، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه، وأنه يجيء يوم القيامة، وأنه يرضى عن الطائعين ويحب التوابين ويسخط على من كفر به ويغضب فلا يقوم شيء لغضبه، وأنه فوق سماواته على عرشه، دون أرضه، وأنه في كل مكان بعلمه"اهـ[25].

قلت: وقد ألف الإمام ابن أبي زيد مقدمة الرسالة على منهج السلف:

قال الشيخ عبد الله كنون رحمه الله عن هذه المقدمة: "**وهي عقيدة سلفية خالية من التأويل الذي يجنح إليه الأشاعرة**". [النبوغ المغربي (276/5)].

✡ وأما الإمام ابن أبي زمنِين فألف في نصرة عقيدة السلف؛ كتابه "أصول السنة"، وقد عقد فيه بابا تحت عنوان: "مجانبة أهل الأهواء"، (انظر: منتخب كتابه ضمن هذه السلسلة: "متون أعلام المالكية").

✡ وأما الإمام ابن عبد البر فكلامه في نقد الكلاميين ومناهجهم كثير جدا؛ من ذلك:

قوله: "من نظر إلى إسلام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وسعد وعبد الرحمن وسائر المهاجرين والأنصار، وجميع الوفود الذين دخلوا في دين الله أفواجا، علم أن الله عز وجل لم يعرفه واحد منهم إلا بتصديق النبيين بأعلام النبوة ودلائل الرسالة، لا من قبل حركة ولا من باب الكل والبعض ولا من باب كان ويكون.

ولو كان النظر في الحركة والسكون عليهم واجبا في الجسم ونفيه والتشبيه ونفيه لازما، ما أضاعوه، ولو أضاعوا الواجب ما نطق القرآن بتزكيتهم وتقديمهم، ولا أطنب في مدحهم وتعظيمهم، ولو كان ذلك من عملهم مشهورا أو من أخلاقهم معروفا لاستفاض عنهم ولشهروا به كما شهروا بالقرآن والروايات"(26).

---

(25) كتاب الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ (ص.107-108).

(26) التمهيد (140/7).

وقال: "ليس في الاعتقاد في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصا في كتاب الله أو صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له ولا يناظر فيه"(27).

وقال أيضا: "ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من نقل الثقات وجاء عن الصحابة وصح عنهم علم يدان به، وما أحدث بعدهم، ولم يكن له أصل فيما جاء عنهم فبدعة وضلالة، وما جاء في أسماء الله أو صفاته عنهم سلم له ولم يناظر فيه كما لم يناظروا، ورواها السلف وسكتوا عنها، وهم كانوا أعمق الناس علما وأوسعهم فهما، وأقلهم تكلفا، ولم يكن سكوتهم عن عي، فمن لم يسعه ما وسعهم فقد خاب وخسر"اهـ(28).

وقد روى السلمي في كتابه ذم الكلام عن مالك قوله: "لو كان الكلام علما لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع، ولكنه باطل يدل على باطل"(29).

---

(27) جامع بيان العلم وفضله (2/942).

(28) المصدر نفسه.

(29) المنتخب من كتاب ذم الكلام للإمام أبي الفضل المقرئ (ص:97)، وانظر في الصفحة (82) منه أثرا آخر عن الإمام مالك.

فصل

أما بعد؛ فإن من المؤكد أن العقيدة الكلامية المسطرة عند المتأخرين؛ كالسنوسي (م.895هـ)(30)، وابن عاشر (م.1040هـ) واللقاني (م.1041هـ)(31) رحمهم الله(32)، ليست هي العقيدة التي رجع إليها الأشعري، وليست هي أيضا العقيدة التي قررها متقدمو أصحابه كابن الباقلاني (م.403).

بل العقيدة الأشعرية مرت بمراحل، وانحرفت عن الحق الذي رجع إليه الأشعري متوغلة شيئا فشيئا في الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية:

قال العلامة حافظ الحكمي: "فالأشعري وإن أخطأ في تأويل بعض الآيات وأجمل في بعض المواضع؛ فكلامه يدل على أنه مخالف للمنتسبين إليه من المتكلمين في مسألة القرآن، كما هو مخالف لهم في إثباته الاستواء والنزول والرؤية والوجه واليدين والغضب ولرضا وغير ذلك، وقد صرح في مقالاته بأنه قائل بما قال الإمام أحمد بن حنبل وأئمة الحديث، معتقد ما

---

(30) سار على منهج الكلاميين في تقرير العقيدة في كتبه الثلاثة: "العقيدة الكبرى"، و"الوسطى"، و"الصغرى"، وكلها مطبوعة، وأشهرها الصغرى المسماة: "أم البراهين"، وقد اختصرها في صغرى الصغرى؛ وتسمى: "الحفيدة"، ثم صغرى صغرى الصغرى، المسماة: "الوجيزة"، وله شروح على ذلك كله.

(31) صاحب "جوهرة التوحيد"؛ وهو أشهر الكتب الكلامية وأكثرها تداولا، عليه شروح كثيرة؛ منها: شرح ابن المصنف: عبد السلام بن إبراهيم اللقاني (م.1078)، ومنها شرح البيجوري (م.1198).

(32) وحتى عند بعض المتقدمين نسبيا؛ كالغزالي (م.505)، وابن تومرت (م.540)؛ انظر: (الاقتصاد في الاعتقاد) للغزالي، و(أعز ما يطلب) لابن تومرت.

هم عليه مثبت لما أثبتوه محرم ما أحدث المتكلمون من تحريف الكلم عن مواضعه وصرف اللفظ عن ظاهره وإخراجه عن حقيقته وبالجملة فبينه و بين المنتسبين إليه بون بعيد" اهـ[33]

وجاء في دائرة المعارف الإسلامية: "إن منهج الأشعري في التدليل في عين القارئ الأوروبي لا يختلف للنظرة الأولى عن منهج أتباع أحمد بن حنبل؛ ذلك أن كثيرا من حُجَجِه يقوم على تفسير القرآن والحديث، على أن السبب في ذلك كان مرجعُه إلى أن خُصُومه أيضا بما فيهم المعتزلةُ أنفسُهم قد استعانوا بحجج من هذا القبيل، وأن الأشعري كان يعتمد دائما على مخاطبة عواطف المرء لا عقلِه.

ومع ذلك فإن خصومه حين يُسَلِّمون بدليل عقلي صِرفٍ، فإن الأشعري كان لا يتردد في استخدامه في دحض أقوالهم، وما إن تقرر جواز مثل هذه الحجج في نظر كثير من المتكلمين على الأقل، حتى استطاع الأشعرية أن يُنَمُّوا هذا الجانب من منهجه، وانتهى الأمر في القرون المتأخرة بأن أصبح الكلام عقليا تماما، على أن هذا كان بعيدا أشد البعد من مزاج الأشعري نفسه".

إلى أن قالوا: "**إن المذهب قد اختفى في وهج من الفلسفة**"(34).

قال الدكتور عبد الله شاكر الجنيدي:"وهكذا نجد أتباع الأشعري والمنتسبين إليه يضعون مذهبا لأنفسهم بعيدا كل البعد عن عقيدة الأشعري التي لقي الله عليها؛ فأوَّلوا الصفات التي أثبتها الأشعري لله عز وجل، وتلقى الناس عنهم ذلك على أنه مذهب الأشعري، وقد صار في هذا المنوال جميع المتأخرين والمنتسبين إليه بلا استثناء كالفخر الرازي والنسفي وابن عاشر والباجوري وغيرهم كثير، بل إن كثيرا من الجامعات الإسلامية اليوم تدرس هذا المذهب الباطل المنسوب إلى الأشعري على أنه هو مذهب الأشعري، والأشعري

---

(33) معارج القبول (372/1).

(34) دائرة المعارف الإسلامية (434/3-439).

منه بريء، كما يلاحظ أنهم يطلقون على هذا المذهب مذهب أهل السنة والجماعة على أنه منسوب لإمام أهل السنة والجماعة وهو الأشعري وكل ذلك زعم باطل وقول غير سديد"اهـ(35).

قلت: وشدة التنافر بين ما قرره الأشعري في كتبه وما قرره المنتسبون إليه بعده؛ حمل أحمد بن الصديق الغماري على القول بأن أولئك المنتسبين معتزلة أظهروا اتباع الأشعري ونشروا فكر الاعتزال بين تلامذته وأتباعه؛ قال الغماري: "والظاهر عندنا — والله أعلم — أن المعتزلة لما قهرهم بذكائه وأبان ضلالهم بحججه؛ استغلوا شهرته بالسنة وحسن عقيدة الناس فيه، وتقليدهم له في كل ما نسب إليه؛ فاندسوا بين أصحابه وأظهروا أنهم أشعرية؛ ناشرون لمذهبه؛ ناصرون لطريقته، ثم صاروا يدسون عقائد الاعتزال والفلسفة وأهل الضلال وينسبونها لأبي الحسن الأشعري؛ لتروج بين الناس باسمه؛ وكذلك كان: فقد صارت عقيدة الأشعرية هي عين عقيدة المعتزلة إلا في المسائل المشهورة بهم؛ كخلق القرآن، والقدر، وإنكار الشفاعة، وعذاب القبر؛ فإنهم أحجموا عن إدخالها في عقيدة الأشعري خوفا من الافتضاح"اهـ(36).

وللغماري كلام كثير وشديد في الرد على الأشاعرة وعدِّهم امتدادا للمعتزلة، وأنهم المقصودون عند السلف والأئمة بالمبتدعة وأهل الكلام؛ ومن ذلك قوله: "والمقصود أن العقيدة الحقة في الله تعالى وأسمائه وصفاته هي في مثل كتب ابن القيم، أما عقيدة الأشعرية، ولا سيما المتأخرين منهم؛ فخلاف مجرد لما جاء عن الله ورسوله بل وسائر رسله في توحيد الله تعالى وصفاته"اهـ(37).

---

(35) من مقدمته على كتاب الإمام الأشعري: (رسالة إلى أهل الثغر) (ص:76).

(36) جؤنة العطار للغماري (253/3).

(37) من رسالته إلى محمد الفلاح؛ نقلا عن كتاب "ذم الأشاعرة" الذي جمعه الدكتور صادق بن سليم (ص:94)، وقد بين شيخنا محمد الأمين بوخبزة في تقديمه لهذا الكتاب بأن شيخه الغماري

أما بعد؛ فإن الإمام أبا عمرو الداني رحمه الله مع كونه استعمل بعض ألفاظ الكلاميين وذكر شيئا يسيرا من تقريراتهم العقدية -لأنه رأى أنها تقوم على حجج عقلية مقبولة شرعا تتضمن نصرة عقيدة السلف في وجه الفلاسفة والمعتزلة-؛ فإن الغالب فيما قرره في باب المعتقد جرى فيه على طريقة السلف من الصحابة والأئمة، وهو الأصل والأظهر عنده كما تراه في هذا المنتخب.

قال الذهبي بعد بيان كون الهروي (م.434) أول من أدخل الكلام إلى المغرب(38): "وقبل ذلك كانت علماء المغرب لا يدخلون في الكلام، بل يتقنون الفقه أو الحديث أو العربية، .. وعلى ذلك كان الأصيلي، وأبو الوليد بن الفرضي، وأبو عمر الطلمنكي، ومكي القيسي، **وأبو عمرو الداني**، وأبو عمر بن عبد البر، والعلماء" اهـ [السير 557/17].

وأختم هذه المقدمة بنصيحة الإمام الداني في التمسك بالسنة ومذهب السلف، وهي من أبيات المنبهة أيضا:

تَدْرِي أَخِي أَيْنَ طَرِيقُ الجَنَّةْ   طَرِيقُهَا القُرْآنُ ثُمَّ السُّنَّةْ
وَجَانِبِ الأَرَاذِلَ الْمُبْتَدِعَةْ   وَاعْمَلْ بِقَوْلِ الفِرْقَةِ الْمُتَّبِعَةْ
وَاطَّرِحِ الأَهْوَاءَ وَالآرَاءَ   وَكُلَّ قَوْلٍ وَلَّدَ المِرَاءَ
مَنْ دَانَ بِالسُّنَّةِ فَاستَمِعْهُ   وَكُلَّ مَا قَدْ صَحَّ فَاتَّبِعْهُ
إِذَا رَأَيْتَ المَرْءَ قَدْ أَحَبَّا   أَئِمَّةَ الدِّينِ وَعَنْهُمْ ذَبَّا
كَمَالِكٍ وَاللَّيْثِ وَالثَّوْرِيِّ   وَابْنِ عُيَيْنَةَ الفَتَى التَّقِيِّ
وَالفَاضِلِ الْمَعْرُوفِ بِالأَوْزَاعِي   وَمِثْلِهِمْ مِنْ أَهْلِ الاتِّبَاعِ

كان في باب توحيد الأسماء والصفات على منهج السلف الصالح، وكانت له طوام في أبواب أخرى كما بين ذلك في كتابه النفيس: "صحيفة سوابق وجريدة بوائق".

(38) وقد سبق أن ابن تومرت أفشاه وفرضه على العلماء وغيرهم.

كَابْنِ الْمُبَارَكِ الْجَلِيلِ الْقَدْرِ   وَالشَّافِعِيِّ ذِي التُّقَى وَالبِرِّ
وَعَابِدِ الرَّحْمَنِ وَابْنِ وَهْبِ   وَصَحْبِهِمْ أَكْرِمْ بِهِمْ مِنْ صَحْبِ
وَالقَاسِمِ العَالِمِ بِالإِعْرَابِ   وَالفِقْهِ وَالقُرْآنِ وَالآدَابِ
وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلِ الإِمَامِ   وَنُظَرَائِهِمْ مِنَ الأَعْلاَمِ
وَفَضَّلَ الصَّحَابَةَ الأَبْرَارَا   وَقَدَّمَ الأَصْهَارَ وَالأَنْصَارَا
وَأَبْغَضَ البِدْعِيَّ وَالـمُخَالِفَا   وَمَنْ تَرَاهُ لَهُمَا مُخَالِفَا
فَاعْلَمْ بِأَنَّهُ مِنَ أَهْلِ السُّنَّةْ   فَالْزَمْهُ وَاسْتَمْسِكْ بِمَا قَدْ سَنَّهْ

أسأل الله عز وجل أن يحيينا ويميتنا على السنة، والله تعالى أعلم.

كتبه:

العبد الضعيف، خادم العلم الشريف

أبو عبد الله حمّاد بن أحمد بن حمّاد القبّاج المراكشي

ضحى يوم الخميس (10) ذي القعدة (1430)، الموافق ل: (2009/10/29)

بمراكش الحمراء

www.manzila.net

* * *

عُقُودُ أَهْلِ السُّنَّةِ

(منتخب من متن المنبهة)

للإمام أبي عمرو الداني

قال الإمام المقرئ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني رحمه الله في أرجوزته المنبهة:

القَوْلُ فِي عُقُودِ أَهْلِ السُّنَّةِ

1- وَمِنْ عُقُودِ(39) السُّنَّةِ الإِيمَانُ   بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ القُرْآنُ
2- وَبِالحَدِيثِ المُسْنَدِ المَرْوِيِّ   عَنِ الأَئِمَّةِ عَنِ النَّبِيِّ
3- وَأَنَّ رَبَّنَا قَدِيمٌ(40) لَمْ يَزَلْ   وَهُوَ دَائِمٌ إِلَى غَيْرِ أَجَلْ
4- لَيْسَ لَهُ شِبْهٌ وَلاَ نَظِيرُ   وَلاَ شَرِيكٌ لاَ وَلاَ وَزِيرُ
5- وَلاَ لَهُ نِدٌّ وَلاَ عَدِيلُ   وَلاَ انْتِقَالٌ لاَ وَلاَ تَحْوِيلُ
6- وَلاَ لَهُ صَاحِبَةٌ وَلاَ وَلَدْ   بَلْ هُوَ فَرْدٌ صَمَدٌ وِتْرٌ أَحَدْ

---

(39) **قلت**: العقود: جمع عِقد، والعِقْد الخيط ينظم فيه الخرز ويُثَبّت، فمادّة العقد تفيد معنى التثبيت، تقول: عقد الشيء وعقّده وعاقده إذا ثبته، قال في التحرير والتنوير (279/4): "فالتعبير عن التوثّق بثلاثة أفعال في كلام العرب: عقَد المخفّف، وعقّد المشدّد، وعَاقَد"اهـ؛ وهكذا ينبغي أن تكون مسائل الإيمان في القلب ثابتة موثقة.

(40) **قلت**: القديم ليس من أسماء الله تعالى، وإنما ذكره العلماء ليخبروا به عن وجود الله قبل كل شيء، وباب الأخبار أوسع من باب الصفات، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال: "**أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم**" (رواه أبو داود وصححه الألباني)، أما في باب الأسماء، فالثابت بالقرآن والسنة؛ اسم الله الأول، وقد فسره النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "**أنت الأول فليس قبلك شيء**".

7- كَانَ وَمَا كَانَ شَيْءٌ قَبْلَهُ   أَجَلْ وَلاَ شَيْءٌ يَكُونُ مِثْلَهُ
8- جَلَّ عَنِ الوَصْفِ وَكَيْفَ كَانَا   سُبْحَانَهُ مِنْ بَارِئٍ سُبْحَانَا(41)
9- كَلَّمَ مُوسَى عَبْدَهُ تَكْلِيمَا   وَلَمْ يَزَلْ مُدَبِّراً حَكِيمَا(42)
10- كَلاَمُهُ وَقَوْلُهُ قَدِيمُ   وَهُوَ فَوْقَ عَرْشِهِ العَظِيمُ(43)

---

(41) **قال المصنف**: "الإيمان بالله تعالى يتضمن التوحيد له سبحانه، والوصف له بصفاته، ونفي النقائص عنه"، ثم ذكر بعض الصفات الإلهية؛ وهي: الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام والوجه واليدين والأعين، واستدل لكل صفة بنص قرآني أو حديثي أو أكثر. (ص:46-50).

(42) **قال المصنف**: "كلام الله صفة لذاته، لم يزل ولا يزال موصوفا به،... قال تعالى: {**وكلم الله موسى تكليما**}؛ فأكد الفعل بالمصدر الذي يزيل المجاز، ويوجب الحقيقة". (ص:70).

(43) **قال المصنف**: "الله سبحانه فوق سماواته، مستو على عرشه،... قال مالك للذي سأله عن كيفية الاستواء: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"،... وقال مالك: "الله في السماء وعلمه في كل مكان". (ص:52-56).

وقال شيخنا: "ذكر الشيخ الداني في هذا البيت صفتين من صفات الله تعالى؛ الأولى: أن كلامه قديم، والثانية: أنه تعالى فوق عرشه، وقد ثار جدل عنيف بين أهل السنة والمعتزلة في المجالين وانتقلت عدوى هذا الخلاف إلى الأشاعرة، فبالنسبة لكلام الله القديم يقرر الأشاعرة أن كلام الله القديم هو الكلام النفسي، وبالنسبة لاستواء الله على العرش يقررون أن معنى الاستواء هو الاستيلاء، وأهل السنة على خلافهم يقولون كلام الله قديم واستواؤه على العرش حقيقي لكن دون تشبيه ولا تكييف.

وسيأتي في الصفحة الموالية أن بعض أهل السنة كانوا يكرهون إطلاق لفظة قديم على الله وعلى القرآن معا، وعلى خلاف ذلك البعض الشيخ الداني في البيت أعلاه حيث وصف القرآن بالقديم وفي بيت آخر قبله بقليل حيث وصف الله بالقديم.

11- وَالقَوْلُ فِي كِتَابِهِ الْمُفَصَّلُ   بِأَنَّهُ كَلاَمُهُ الْمُنَزَّلُ(44)
12- عَلَى رَسُولِهِ النَّبِيِّ الصَّادِقِ   لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَلاَ بِخَالِقِ(45)
13- مَنْ قَالَ فِيهِ إِنَّهُ مَخْلُوقُ   أَوْ مُحْدَثٌ فَقَوْلُهُ مُرُوقُ
14- وَالوَقْفُ(46) فِيهِ بِدْعَةٌ مُضِلَّةْ   وَمِثْلُ ذَاكَ اللَّفْظُ عِنْدَ الجِلَّةْ

---

(44) **وقال في الرسالة:** "القرآن كلام الله، وصفة لذاته" (ص:70).

(45) **قال في الرسالة:** "وقال الله تعالى: {**قرآنا عربيا غير ذي عوج**}، قال ابن عباس: "غير مخلوق"، وذلك كذلك؛ إذ كل معوج مخلوق من حيث كان مفتقرا إلى خالقه" (ص:71).

وقال شيخنا: "مذهب أهل السنة في القرآن أنه كلام الله غير مخلوق، وهو مذهب مخالف لمذهب جهم وعامة المعتزلة الذين أصروا على أنه مخلوق، ومخالف لمذهب الكلابية الذين يقولون القرآن معنى قائم بالنفس لا يتعلق بالقدرة والمشيئة، ومخالف لمذهب ابن حزم الذي يقول أن القرآن أربعة أنواع ووافق الكلابية والمعتزلة على أن القرآن اللفظي المقروء بالألسنة والمكتوب في المصاحف مخلوق، انظر: النونية لابن القيم (132/1).

(46) **قال شيخنا:** "الواقفة قوم وقفوا في مسألة خلق القرآن شاكين، فلم يصرحوا بكونه مخلوقا كالجهمية والمعتزلة ولا صرحوا بكونه غير مخلوق كأهل السنة، والواقفة فريقان فريق وقف شاكا وفريق وقف ورعا، وأهل السنة يعتبرون من وقف شاكا كافرا، ويعتبرون من وقف ورعا مبتدعا.

واللفظية قوم كان أحدهم يقول لفظي بالقرآن مخلوق، وأول من قال بهذا الحسين بن علي الكرابيسي معاصر أحمد بن حنبل وقد صرح الشيخ الداني بأن الفريقين من الجهمية، ذلك أنهم في الحقيقة إنما تستروا بهذا أيام المحنة، فبناء على قصد الواقفة والباس اللفظية عدهما الشيخ الداني من الجهمية القائلين بخلق القرآن وإن لم يكونوا منهم. انظر: أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (349/2).

15- كِلاَ الفَرِيقَيْنِ مِنَ الجَهْمِيَّةْ   الوَاقِفُونَ فِيهِ وَاللَّفْظِيَّةْ(47)
16- هُوَ القُرَانُ لاَ يَسُوغُ فِيهِ   مَقَالُ ذِي الشَّكِّ وَذِي التَّمْوِيهِ
17- بَلِ الذِي أَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةْ   عَلَيْهِ كَابْنِ حَنْبَلٍ ذِي المِحْنَةْ
18- وَنُظَرَائِهِ مِنَ الأَئِمَّةْ   ذَوِي التُّقَى سُرُجُ هَدْيِ الأُمَّةْ(48)

---

(47) **قال شيخنا:** سبق تحليل معنى الواقفة واللفظية وسبب اعتبار الشيخ الداني لهما من الجهمية، وهنا أضيف بيانا آخر للموضوع فأقول: إنما اعتبر أهل السنة هؤلاء من المبتدعة لاعتبارهم التلاوة والمتلو شيئا واحدا مما يؤدي في النهاية إلى أن القرآن مخلوق، وإلا فلو فرقوا بينهما لما كان هناك حرج في قول أحدهم: "لفظي بالقرآن مخلوق"، وقد ارتفع هذا الالتباس بقول أهل السنة في الموضوع: "الصوت صوت القارئ والكلام كلام الباري"، وعدم الانتباه إلى هذا الفرق الدقيق هو سبب المحنة التي كانت بين الإمام البخاري والإمام محمد بن يحيى الذهلي. انظر: شرح النونية لابن القيم (134/1).

(48) يقصد الشيخ الداني رحمه الله بأئمة أهل السنة أمثال سفيان الثوري والأوزاعي وابن عيينة وابن المديني وأبي ثور والبخاري وأبي زرعة والتستري وابن جرير الطبري وابن المبارك، فهؤلاء جميعا من نظراء أحمد بن حنبل في الالتزام بعقائد أهل السنة والدفاع عنها تجاه بدع المؤولة. راجع عقائد هؤلاء مفصلة في كتاب أصول عقائد أهل السنة للالكائي (151/1) وما بعدها، وغالب كتب ابن تيمية في العقائد تعرض عقائد هؤلاء الأئمة من أهل السنة بالمعنى الأخص وتناقش عقائد أهل السنة بالمعنى الأعم وفي مقدمتهم الأشاعرة، وقد جمعت مقالاته في المجلد الثالث والرابع من مجموع الفتاوى؛ فعنوان المجلد الثالث مجمل اعتقاد السلف، وعنوان المجلد الرابع مفصل الاعتقاد.

19- أَهْوِنْ بِقَوْلِ جَهْمٍ الخَسِيسِ(49) وَوَاصِلٍ(50) وَبِشْرٍ المَرِّيسِي(51)
20- ذِي السَّخْفِ وَالجَهْلِ وَذِي العِنَادِ وَمَعْمَرٍ(52) وَابْنِ أَبِي دُؤَادِ(53)

---

(49) هو جهم بن صفوان إمام غلاة المجبرة، وإليه تنسب فرقة الجهمية ومن آرائه الزائغة القول بحدوث العالم ونفي الصفات وأن الجنة والنار غير مخلوقين وأن الإيمان مجرد المعرفة بأن الله هو الرب الخالق لكل شيء، فهو إمام لكثير من الفرق الضالة في هذا المجال كالفلاسفة والمعتزلة والجهمية والجبرية. انظر: شرح النونية لابن القيم (32/1).

(50) هو واصل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة وأول من وافق الخوارج على تأبيد عقاب مرتكب الكبيرة في النار وخالفهم في تسميته كافرا وقال إنه في المترلة بين المترلتين، وبناء على ذلك اعتبر أهل صفين والجمل فسقة لا بأعيانهم، والذي يهمنا مباشرة هو رأيه في القرآن فهو رأي بقية المعتزلة في أن القرآن مخلوق، انظر: الفرق بين الفرق (ص:117).

(51) هو بشر بن غياث المريسي، ومذهبه في القرآن هو مذهب بقية المعتزلة في أن القرآن مخلوق، قال ابن عبد البر: "هو من أصحاب أبي حنيفة الغارقين في القياس ولكنه مبتدع قائل بأن القرآن مخلوق." جامع بيان العلم (63/2).

وقال في الفرق بين الفرق (ص:204): "خالف المعتزلة في خلق الله أفعال العباد فصار مهجور الصفاتية والمعتزلة معها".

(52) هو معمر بن عباد السلمي شيخ بشر بن المعتمر كان رأسا للملاحدة وذنبا للقدرية وشارك المعتزلة في نفي صفات الله الأزلية وفي القول بخلق القرآن. انظر الفرق بين الفرق (ص:151).

(53) هو أحمد بن أبي دؤاد قاضي المحنة الذي حمل الخليفة المعتصم على امتحان أهل السنة والجماعة بالقول بخلق القرآن، وبأن الله لا يرى في الآخرة فكان من ذلك ما كان من الحبس والضرب والقتل لأهل الحديث بزعامة الإمام أحمد بن حنبل واستمرت الفتنة إلى أن أهلك الله هذا القاضي (سنة:240هـ). انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول (231/1).

21- وَابْنِ عُبَيْدٍ(54) شَيْخِ الاعْتِزَالِ وَشَارِعِ البِدَعِ وَالضَّلَالِ
22- وَالجَاحِظِ(55) القَادِحِ فِي الإِسْلَامِ وَجِبْتِ هَذِي الأُمَّةِ النَّظَّامِ(56)

---

(54) هو عمرو بن عبيد بن باب مولى بني تميم، وقد شارك عمرو واصلا في بدعة القدر وفي قوله بالمنزلة بين المنزلتين وزاد عليه بقوله بتفسيق أهل الجمل جميعا وشارك المعتزلة في القول بخلق القرآن وهو المقصود هنا بالذات. وقول الناظم: "وشارع البدع والضلال" إشارة إلى زعامته في هذا الباب، وقد أنكر أن تكون في اللوح المحفوظ سورة: {**تبت يدا أبي لهب**} الفرق بين الفرق (ص:121).

(55) هو عمرو بن بحر الجاحظ، وإليه تنسب الفرقة الجاحظية من المعتزلة له شهرة عريضة في عالم الأدب والتأليف وفتن ببيانه كثير من ضعفاء القلوب، ومذهبه في القرآن هو القول بخلق القرآن كغيره من المعتزلة، ويضاف إليه قوله بأن الله لا يدخل أحدا النار وإنما النار هي التي تجذب أهلها إليها، وقوله ليس للعبد من فعله إلا الإرادة فيلزم من ذلك ألا يكون الإنسان مصليا ولا صائما ولا زانيا ولا سارقا. انظر الفرق بين الفرق (ص:175).

(56) هو أبو إسحاق إبراهيم بن سيار المعروف بالنظام، وهو ابن أخت أبي الهذيل العلاف، ومنه أخذ الاعتزال، وهو شيخ الجاحظ ومعدود من أذكياء المعتزلة، ومما انفرد به النظام القول بالطفرة وإنكار إعجاز القرآن وطعنه في خيار الصحابة والتابعين بالإضافة إلى قوله بخلق القرآن، ولخطر شخصيته وجرأته في عالم البدعة سماه الناظم جبت هذه الأمة. الفرق بين الفرق (ص:331).

23- وَالفَاسِقِ الْمَعْرُوفِ بِالجُبَّائِي(57)   وَنَجْلِهِ السَّفِيهِ(58) ذِي الخَنَاءِ(59)
24- وَاللاَّحِقِيِّ(60) وَأَبِي الْهُذَيْلِ   مُؤَيِّدِ الزَّيْغِ بِكُلِّ وَيْلِ
25- وَذِي العَمَى(61) ضِرَارٍ الْمُرْتَابِ   وَشِبْهِهِمْ مِنْ أَهْلِ الارْتِيَابِ

---

(57) هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن خالد الجبائي، شارك المعتزلة في أكثر ضلالاتهم وانفرد عنهم بأشياء منها أن العبد لا يستحق الذم على فعله ولكن يستحقه على فعل غيره، وقد كفره المعتزلة في أكثر آرائه والذي يهمنا هنا عقيدته في خلق القرآن. الفرق بين الفرق (ص:184).

(58) هو أبو هاشم عبد السلام بن محمد الجبائي المترجم له قبله، وقد فاق أباه في ابتداع الآراء الغريبة وفي المعاصي، وقد قيل أصر على شرب الخمر حتى مات، ومما انفرد به أبو هاشم القول بالأحوال، وأحوال أبي هاشم لا موجودة ولا معدومة ولا قديمة ولا حديثة ولا معلومة ولا مجهولة، ولذلك قيل ثلاثة أشياء لا حقيقة لها حال أبي هاشم وطفرة النظام وكسب الأشعري. انظر الفرق بين الفرق (ص:185).

(59) هو أبان بن عبد الحميد بن لاحق الرقاشي شاعر مكثر من أهل البصرة اتصل بالبرامكة ونظم لهم كليلة ودمنة وسيرة أنو شروان شعرا. الأعلام للزركلي (20-21).

(60) هو أبو الهذيل محمد بن الهذيل المعروف بالعلاف، وقد سبق أنه شيخ إبراهيم النظام وخاله، ومن آرائه الزائغة؛ القول بفناء مقدورات الله تعالى حتى لا يكون بعد فنائها قادرا على شيء، وهذا القول شر من قول جهم: "إن الجنة والنار تفنيان"، وعقيدته في القرآن كعقيدة غيره من المعتزلة. انظر: الفرق بين الفرق (ص:124).

(61) هو ضرار بن عمرو؛ كان مشهورا في أيام واصل بن عطاء، وقد وضع بشر بن المعتمر كتابا في الرد على ضرار، ويمتاز ضرار بمخالفته المعتزلة في أفعال العباد، لكن انفرد بطامات أخرى منها قوله بأن الله تعالى يرى يوم القيامة بحاسة سادسة، ومنها إنكاره لحرف ابن مسعود وحرف أُبَي وشهد بأن الله تعالى لم يترلهما، ومنها قوله: (معنى قولنا إن الله تعالى عالم حي هو أنه ليس بجاهل

26- جَمِيعُهُمْ قَدْ غَالَطَ الجُهَّالاَ   وَأَظْهَرَ البِدْعَةَ وَالضَّلاَلاَ(62)
27- وَعَدَّ ذَاكَ شِرْعَةً وَدِينَا(63)   فَمِنْهُمُ للهِ قَدْ بَرِينَا(64)
28- وَعَنْ قَرِيبٍ مِنْهُمُ يَنْتَقِمُ   وَمَنْ مَضَى مِنْ صَحْبِهِمْ سَيَنْدَمُ(65)

ولا ميت). ويهمنا هنا عقيدته في القرآن، وهي عقيدة غيره من المعتزلة. انظر: الفرق بين الفرق (ص:124).

(62) جميع أهل البدع ممن ذكرهم الشيخ الداني وغيرهم غالطوا الجهال من المسلمين ببدعهم واستمالوا قلوبهم بدعوى الدفاع عن الإسلام ومجادلة الكفار من النصارى والمجوس وغيرهم، وفي طليعة من غالطوه خلفاء بني العباس: المأمون والمعتصم والواثق.

قلت: التاريخ يعيد نفسه؛ فإن بإزاء أولئك المبتدعة في العصر المتأخر؛ عقلانيون وعصرانيون من علمانيين و(إسلاميين) سلكوا مسلك المعتزلة القدامى في إنكار السنة والتعسف في تأويل القرآن والكلام في الغيبيات بمنهج عقلاني منحرف، وهؤلاء اتسعت دائرة انحرافهم أكثر بسبب التطور الهائل في عالم المعرفة و(التكنولوجيا) والسياسة والاقتصاد، والذي أحدث عندهم خللا واضطرابا في الميزان الشرعي الضابط لفقه الثابت والمتغير في الدين والحياة، لا سيما مع هزال محصلة الكثيرين من العلم الشرعي تأصيلا وتفريعا وتحريرا.

(63) أخطر ما في البدعة شبهها بالسنة وكون معتنقيها يعتقدون أنها لا غيرها هي الصواب، وقد عرف التاريخ الإسلامي ألوانا من التضحية وفنونا من التنظيمات التي قام بها زعماء مبتدعة لنشر تعاليمهم باسم الإسلام، والإسلام منها براء، من ذلك جهود العبيدين في شمال إفريقيا وجهود الموحدين بعد ذلك، وجهود المعتزلة قبل ذلك وبعده.

(64) أعلن الشيخ الداني هنا براءته من أهل البدعة، لأن ذلك من واجب المسلم، فإن الولاء والبراء من أعظم علامات المؤمن، والمؤمن إنما يوالي لله ويبرأ لله، ولا تأخذه في الله لومة لائم.

(65) **قلت**: لقد عقد المصنف في كتابه "الرسالة الوافية" فصلا حافلا في ذم أهل البدع ومذهبهم؛ وأورد فيه عددا كبيرا من النصوص والآثار، انظر: (ص:147-166).

29- وَبَعْدُ فَالإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلْ   وَنِيَةٌ ذَلِكَ لَيْسَ يَنْفَصِلْ
30- هُوَ عَلَى ثَلاَثَةٍ مَبْنِيُّ   خِلاَفَ مَا يَقُولُهُ الْمُرْجِيُّ(66)
31- وَتَارَةً يَزِيدُ بِالتَّشْمِيرِ   وَتَارَةً يَنْقُصُ بِالتَّقْصِيرِ(67)

وقال شيخنا: وبعد إعلان البراء من أهل البدعة أتبع الشيخ الداني ذلك بالإنذار والتخويف من مصير هؤلاء إما في الدنيا وإما في الآخرة، والمبتدع معرض نفسه للانتقام وللندم، فهو إن لم ينتقم منه في الدنيا ندم على بدعته في الآخرة لا محالة، والرسول صلى الله عليه وسلم أعلن لأمته أن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، فلا يسع المبتدع إلا التوبة وترك بدعته، ولكن قلما يتوبون لأنهم يظنونها بدعة حسنة، والذي أوقعهم في ذلك اغترارهم بتقسيم القرافي البدعة إلى أقسام الحكم الشرعي الخمسة وعدم اطلاعهم على فساد هذا التقسيم كما بين ذلك أبو إسحاق الشاطبي في كتاب الاعتصام.

(66) **قال المصنف:** "ومن قول الفقهاء والمحدثين: إن الإيمان قول وعمل ونية وإصابة السنة"، ثم فسر ذلك وذكر أدلته من القرآن. (ص:81-82).

وقال شيخنا: ومن بين الفرق المخالفة لأهل السنة في تعريف الإيمان: الحنفية والجهمية والكرامية؛ فالحنفية يقولون الإيمان تصديق بالجنان وتبعهم في ذلك الأشاعرة والماتردية، والجهمية يقولون إنه المعرفة بالقلب ومعهم المرجئة، والكرامية يقولون إنه الإقرار باللسان فقط، والشيخ الداني أشار إلى خلاف المرجئة فقط، لأنهم الأصل في هذا الباب.

(67) **قال في الرسالة:** "الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ويقوى بالعلم ويضعف بالجهل ويخرج بالكفر"، ثم ذكر أدلة ذلك من القرآن والسنة، ثم قال: "وأقل الإيمان ما لا يجامعه الشكوك، وأكثره: إيمان الأنبياء عليهم السلام،... عن إبراهيم ابن أبي الوزير قال: سألت مالكا عن الإيمان، فقال: قول وعمل، فقلت يزيد وينقص؟ قال: نعم" (ص:83-85).

32- وَزَعَـمَ الإِمَـامُ الأَشْعَرِيُّ(68)   وَصَحْبُـهُ وَكُلُّهُـمْ مَـرْضِيُّ
33- بِـأَنَّ الإِيمَـانَ هُـوَ التَّصْدِيـقُ   وَذَاكَ قَـدْ يَعْضُدُهُ الـتَّحْقِيقُ(69)
34- وَالخَيْرُ وَالشَّـرُّ مِـنَ الرَّحْمَـنِ   مُقَـدَّرٌ مِـنْهُ عَلَـى الإِنْسَانِ(70)

---

(68) ذكر الشيخ الداني في البيتين رأي الإمام الأشعري في الإيمان، وهو أنه التصديق فقط، وقد سبق إلى هذا القول أبو حنيفة كما تقدم، وهو المعنى المنسوب للمرجئة أيضا، غير أن الفرق بين الأشاعرة والمرجئة هو الاعتراف بالعمل، فالأشاعرة يعتبرون العمل من لوازم الإيمان وإن لم يدخل في ماهيته، والمرجئة يستهينون بالعمل ويقولون لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة، وقد سبق أيضا أن الحنفية يمتازون في باب الإيمان عن الأشاعرة بعنصر القول.

(69) **قلت**: وقد بين في الرسالة الوافية (ص:82) أن هذا معنى الإيمان عند المتكلمين، فالمتكلمون يحصرون الإيمان في التصديق، وهو ضلال رجع عنه الأشعري؛ حيث قال في الإبانة: "الإيمان قول وعمل يزيد وينقص"اهـ، أما "من قال من أهل السنة في الإيمان هو التصديق على ظاهر اللغة؛ فإنما عنوا التصديق الإذعاني المستلزم للانقياد ظاهرا وباطنا **بلا شك**، لم يعنوا مجرد التصديق"اهـ، قاله العلامة حافظ الحكمي في المعارج (594/2)، والظاهر أن هذا ما فهمه الداني مما حكاه عن المتكلمين، ولذلك حكاه عنهم دون تعقيب.

(70) **قال المصنف**: "إن الأقدار كلها خيرها وشرها، حلوها ومرها، قد علمها تبارك وتعالى وقدرها، وأن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا، وكذا جميع الأعمال قد علمها وكونها وأحصاها وكتبها في اللوح المحفوظ، فكلها بقضائه جارية وعلى كل من سعد أو شقي في بطن أمه ماضية، لا محيص لخلقه عن إرادته، ولا عمل من خير ولا شر إلا بمشيئته". (ص:63-64).

وقال شيخنا: مذهب أهل السنة في هذا المجال يقابله مذهب القدرية الذين نفوا القدر في الخير والشر معا، ومذهب المعتزلة الذين نفوا القدر في الشر دون الخير، ويقابلهما مذهب الجبرية الذين أثبتوا القدر ونفوا فعل العبد وبالتالي مسؤوليته عن فعله. انظر: شرح الطحاوية (ص:433).

35- مَا كَانَ مِنْ عِصْيَانٍ أَوْ مِنْ طَاعَةْ   فَمَا لَهُ فِيهِ مِنِ اسْتِطَاعَةْ(71)
36- بَلْ لِلإِلَهِ العِلْمُ وَالقَضِيَّةْ   فِي كُلِّ شَيْءٍ وَلَهُ المَشِيَّةْ(72)

القَوْلُ فِي حُبِّ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ

37- وَحُبُّ أَصْحَابِ النَّبِيِّ فَرْضٌ   وَمَدْحُهُمْ تَزَلُّفٌ وَقَرْضٌ(73)
38- وَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ الصِّدِّيقُ   وَبَعْدَهُ الْمُهَذَّبُ الفَارُوقُ
39- وَبَعْدَهُ عُثْمَانُ ذُو النُّورَيْنِ   وَبَعْدَهُ عَلِي أَبُو السِّبْطَيْنِ

---

(71) **قلت:** لا يصح أن يراد بالاستطاعة هنا؛ الاستطاعة المطلقة، بل للعبد نوع من القدرة والاستطاعة يناط بهما التكليف، ويتحقق بهما العدل في الجزاء؛ "فمذهب أهل السنة هو أن العبد فاعل لفعله حقيقة، وأنه يستوجب عليه المدح أو الذم، وأنه مريد مختار في فعله"، وإنما مقصود الداني من النفي؛ أن العبد لا يستطيع أن يرد قضاء الله وما سبق به علمه وقدره سبحانه، فهذا ما له فيه من استطاعة.

(72) مذهب [الأشاعرة] في هذا الباب يتلخص في فكرة الكسب الغامضة والتي تؤول في النهاية إلى الجبر، ولذلك قيل عن الأشعرية (مرجئة أهل السنة).

(73) **قال المصنف:** "ومن قولهم: أن يحسن القول في السادات الكرام، أصحاب محمد عليه السلام، وأن تذكر فضائلهم وتنشر محاسنهم، ويمسك عما سوى ذلك مما شجر بينهم لقوله صلى الله عليه وسلم: "**إذا ذكر أصحابي فأمسكوا**" (ص:132). [الحديث؛ رواه الطبراني عن ابن مسعود وصححه الألباني في صحيح الجامع].

وقال شيخنا: فأهل السنة يتبرءون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل.

40- وَبَعْدَ هَـؤُلاَءِ بَاقِـي العَشَـرَةْ   الأَتْقِيَاءِ الْمُرْتَضَيْنَ البَرَرَةْ(74)
41- أَهْلُ الخُشُـوعِ وَالتُّقَى وَالخَـوْفِ   طَلْحَةُ(75) وَالزُّبَيْرُ(76) وَابْنُ عَوْفِ(77)

---

(74) **قال المصنف:** "أفضل الصحابة رضوان الله عليهم: المهاجرون ثم الأنصار ثم التابعون لهم بإحسان، وأفضل المهاجرين: العشرة المعدون للجنة،... وأفضل هؤلاء العشرة: الأئمة الأربعة، وأفضلهم: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي" (ص:133-134) باختصار.

وقال شيخنا: من عقائد أهل السنة أنهم يقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ويثلثون بعثمان ويربعون بعلي، وإن كان بعض أهل السنة يعكس الترتيب بين عثمان وعلي وبعضهم الآخر توقف في التفضيل بينهما لا في ترتيبهما في باب الخلافة، فهو محل اتفاق أهل السنة جميعا، انظر: الباعث الحثيث لأحمد محمد شاكر (ص:183)، وانظر كذلك شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس (ص:168).

(75) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو التيمي القرشي أحد العشرة المبشرين وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر وأحد الستة أصحاب الشورى وأحد من أبلى في أحد بلاء حسنا، وقى النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه واتقى عنه النبل بيده مات رضي الله عنه يوم الجمل (سنة: 36هـ). الإصابة (529/2).

(76) هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد حواري الرسول صلى الله عليه وسلم الأسدي القرشي وأمه صفية بنت عبد المطلب فهو ابن عمة الرسول وابن أخي خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، أسلم شابا وهاجر إلى الحبشة وشهد بدرا والمشاهد كلها وعينه عمر ضمن أصحاب الشورى وشهد له الرسول بالجنة، قتل يوم الجمل (سنة:36 هـ). الإصابة (553/2).

(77) هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف الزهري القرشي أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى وأكثر الناس برورا بأزواج النبي بعده، مات (سنة: 31هـ) ودفن بالبقيع وأوصى لكل من حضر بدرا بأربعمائة دينار وكانوا مائة رجل. الإصابة (346/4).

42- ثُمَّتَ سَعْدٌ(78) بَعْدَهُمْ وَعَامِرُ(79)   ثُمَّ سَعِيدُ(80) بْنُ نُفَيْلِ العَاشِرُ
43- وَسَائِرُ الصَّحْبِ فَهُمْ أَبْرَارُ   مُنْتَخَبُونَ سَادَةٌ أَخْيَارُ
44- وَرَبُّنَا جَلَّلَهُمْ إِنْعَامَهْ   وَخَصَّهُمْ بِالفَضْلِ وَالكَرَامَةْ
45- وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِلْأَئِمَّةْ   مُفْتَرَضٌ عَلَى جَمِيعِ الأُمَّةْ
46- وَهُمْ عَلَى مَا جَاءَ مِنْ قُرَيْشِ(81)   بِذَا أَدِينُ اللهَ طُولَ عَيْشِي

---

(78) هو سعد بن مالك المعروف بابن أبي وقاص الزهري القرشي أسلم شابا وشهد بدرا وأُحُدا والخندق والمشاهد كلها، هو أول من رمى بسهم في سبيل الله وقائد القادسية وخال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد المبشرين بالجنة توفي (سنة: 55هـ) بالعقيق وصلى عليه مروان وأزواج النبي. انظر الإصابة (88/3).

(79) هو أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري القرشي أمين هذه الأمة وأحد العشرة المبشرين بالجنة وقاتِل أبيه الكافر يوم بدر وقائد فتوحات الشام مات بالشام في طاعون عمواس (سنة: 18هـ). انظر الإصابة (886/3).

(80) هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي ابن عم عمر بن الخطاب وزوج أخته فاطمة، أسلم قديما هو وزوجته وشهد المشاهد كلها إلا بدرا وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة مات بالعقيق (سنة: 51هـ). الإصابة (103/3).

(81) من شروط الإمام في الإسلام حالة الاختيار: الإسلام والبلوغ والعقل والذكورية والعلم والكفاءة الجسمية والنفسية والحرية والعدالة وعدم الحرص عليها والقرشية، والشيخ الداني هنا لم يذكر إلا هذا الشرط الأخير، ومذهب أهل السنة أن الخلافة في قريش، وهو مذهب الأئمة الأربعة، ولم يخالف في هذا إلا الخوارج وبعض المعتزلة ودليل أهل السنة قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "**إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله في النار على وجهه ما أقاموا الدين**" رواه البخاري في كتاب الأحكام، وكذا الحديث المتفق عليه عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان**".

47- وَأُمَـرَاؤُهُمْ كَهُـمْ فِي الطَّاعَـةْ   هَـذَا الـذِي تَقُولُـهُ الجَمَاعَـةْ
48- مَنْ مَـاتَ وَهْوَ لاَ يَرَى إِمَامَـا(82)   فَقَدْ هَـوَى إِذْ فَارَقَ الإِسْلاَمَا(83)
49- وَمَـنْ يَمُتْ مِنَّا عَلَى العِصْيَـانِ   فَهُـوَ فِي مَشِيئَةِ الرَّحْـمَـنِ(84)

قلت: قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: "اشتراط كونه قرشيا هو الحق، ولكن النصوص الشرعية دلت على أن ذلك التقديم الواجب لهم في الإمامة مشروط بإقامتهم الدين وإطاعتهم لله ورسوله، فإن خالفوا أمر الله فغيرهم ممن يطيع الله تعالى، وينفذ أوامره أولى منهم". (أضواء البيان 52/1).

(82) سبق أن من أصول أهل السنة الطاعة للأئمة ولأمرائهم كذلك، وهنا يشير الناظم إلى ضلال من يقول بعدم وجوب نصب الأئمة من غير قريش كبعض الخوارج أيضا وإلى ضلال من يرى الأئمة في بني علي فقط كفرق الشيعة، ذلك لأن من عقائد أهل السنة إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء أبرارا كانوا أم فجارا، ولذلك يحافظون على الجماعات ويدينون بالنصيحة للأمة ويعتقدون معنى قوله صلى الله عليه وسلم: "**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه** صلى الله عليه وسلم " (متفق عليه). انظر: شرح الواسطية (ص:181).

(83) **قال المصنف:** "إقامة الإمام مع القدرة والإمكان فرض على الأمة، وإقامته إلى أهل الحل والعقد،... وواجب الانقياد للأئمة والسمع والطاعة لهم في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وكذا طاعة خلفائهم والنائبين عنهم من الأمراء والقضاة والحكام والعمال، وسائر من استخلفوهم... ". (ص: 134-135).

(84) مذهب أهل السنة في العصاة من المؤمنين أنهم في مشيئة الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، وإن عذبوا فهم في العذاب غير مخلدين، وهذا خلاف مذهب الخوارج والمعتزلة في تخليد العصاة في النار، ومن أدلة أهل السنة على ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "**يخرج من النار من قال لا إله إلا إله وفي قلبه مثقال حبة خردل من إيمان**"(متفق عليه)، وقوله فيما رواه مسلم: "**يا رب ائذن لي**

50- إنْ شَاءَ عَذَّبَ وَإنْ شَاءَ غَفَرْ   وَلَيْسَ يَصْلَى النَّارَ إلاَّ مَنْ كَفَرْ[85]
51- وَالنَّارُ وَالجَنَّةُ قَدْ خُلِقَتَا   وَلِلْخُلُودِ دَائِماً أُعِدَّتَا[86]
52- فَالمُؤْمِنُونَ فِي النَّعِيمِ سَرْمَدَا   وَالجَاحِدُونَ فِي العَذَابِ أَبَدَا[87]
53- وَكُلُّ مَا أَحْدَثَهُ أَهْلُ البِدَعْ   فَبِدْعَةٌ مُضِلَّةٌ لاَ تُتَّبَعْ[88]

فيمن قال لا إله إلا الله". انظر شرح الطحاوية (ص:259) وصحيح مسلم باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (ص:184).

[85] مقصود الشيخ الداني بقوله: (وليس يصلى النار)؛ الخلود فيها، وإلا فالحديث السابق دليل على أن العصاة يدخلون النار ثم يخرجون منها بشفاعة الشفعاء أو بمجرد رحمة الله ومغفرته، ومن ثم اعتبر أهل السنة العصاة من أهل الوعيد لا من أهل الوعد.

[86] **قال في الرسالة:** "الله سبحانه وتعالى قد خلق الجنة والنار قبل خلق آدم عليه السلام، خلقهما للبقاء لا للفناء،... قال سبحانه: **{وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين}** والشيء المعد لا يكون إلا موجودا مفروغا منه،... والجنة في أعلى عليين، والنار في أسفل سافلين،... وآدم عليه السلام خلق في جنة الخلد، ومنها أهبط بخطيئته إلى الأرض" (ص:102-103) باختصار.

وقال شيخنا: خلافا لقول جهم بن صفوان أنهما غير مخلوقتين الآن، لأن خلقهما وتعطيلهما عن العمل عبث بزعمه. انظر شرح الطحاوية (ص:476).

[87] هذه شهادة أهل السنة لجنس المؤمنين بالجنة ولجنس الكافرين بالنار، وأما الشهادة لأحد بعينه بالجنة أو النار فلا تجوز إلا لمن شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم كالعشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم، [وغيرهم كثابت بن قيس وعكاشة بن محصن وعبد الله بن سلام].

[88] يستفاد من هذا البيت أمران: الأول: أن البدع كلها ضلال خلافا لمن يزعم أنها تنقسم إلى أحكام الشرع الخمسة كالقرافي، والثاني: أن مقصود الناظم بالبدع هنا بدع أهل الكلام في مجال العقائد، وإن كان اللفظ يحتمل جنس البدع في كل مجال.

54- وَالبِدَعُ الأُصُولُ فَاعْلَمْ أَرْبَعَهْ   قَوْلُ(89) الشُّرَاةِ مَذْهَبٌ مَا أَفْظَعَهْ
55- أَخْسِسْ بِهِمْ وَمَا بِهِ قَدْ جَاءُوا   وَالرَّفْضُ(90) وَالقَدَرُ (91) وَالإِرْجَاءُ(92)
56- وَكُلُّ فِرْقَةٍ فَقَدْ تَفَرَّقَتْ   عَلَى ثَمَانِ عَشْرَةٍ تَمَزَّقَتْ
57- فَاسْتَكْمَلَتْ صِدْقاً بِغَيْرِ مَيْنِ   فِرَقُهُمْ سَبْعِينَ وَاثْنَتَيْنِ(93)

---

(89) الشراة قوم من الخوارج الذين قاتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، سموا أنفسهم بهذا الاسم زعما منهم أنهم شروا أنفسهم له، ويقال لهم الحكيمة، والنواصب والحرورية، وهم أول من كفر عليا وعثمان والحكمين وأصحاب الجمل، ولذلك قال الناظم في مذهبهم: (ما أفظعه).

(90) الروافض قوم من الشيعة ابتلاهم الله بالغلو في علي وأهل بيته وبغض من عداه من الصحابة وسبهم وتكفيرهم، وأول من سماهم بذلك زيد بن علي رحمه الله؛ لأنهم لما طلبوا منه أن يتبرأ من إمامة الشيخين أبي بكر وعمر ليبايعوه أبى ذلك فتفرقوا عنه فقال: رفضتموني. انظر شرح العقيدة الواسطية (ص:174) ولذلك قال الناظم في حقهم (أخسس بهم).

(91) القدرية نفاة القدر، فكأنهم جعلوا مع الله خالقين كثيرين ولهذا كانوا مجوس هذه الأمة بل أردأ من المجوس، لأن المجوس أثبتوا خالقَيْن وهؤلاء أثبتوا مع الله خالقِين، روى أبو داود [وصححه الألباني] عن ابن عمر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (**القدرية مجوس هذه الأمة**). وانظر: شرح الطحاوية (ص:304).

(92) المرجئة فرقة ضالة تقابل القدرية، ومن ضلالها أن التدبير في أفعال الخلق كلها لله تعالى وكلها اضطرارية كحركات المرتعش، ولا يخفى ما في هذه العقيدة من خطر نفي المسؤولية عن العبد وتعطيل الأوامر الشرعية. انظر شرح الطحاوية (ص:493).

(93) حاول الشيخ الداني حصر الفرق الضالة في اثنين وسبعين بناء على الحديث الصحيح: (**وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**)؛ (رواه الترمذي وصححه)، وإلا فالخلاف معروف في حصرها بناء على ما يفهم من العدد؛ لأن دلالة العدد تدل مرة على حقيقة العدد ومرة على المبالغة، مثال دلالة العدد حقيقة قوله تعالى: {**وحمله وفصالة**

58- وَهْيَ التِي فِي مُسْنَدِ الأَخْبَارِ   بِأَنَّهَا بِجَمْعِهَا فِي النَّارِ
59- كَذَا رُوِينَاهُ عَنَ أَوَّلِينَا   فَالْزَمْ هُدِيتَ الوَاضِحَ الْمُبِينَا

القَوْلُ فِي بَاقِي العُقُودِ

60- وَمِنْ صَرِيحِ السُّنَّةِ الإِقْرَارُ   بِكُلِّ مَا صَحَّتْ بِهِ الآثَارُ[94]

ثلاثون شهرا} الأحقاف (الآية:46)، ومثال دلالة العدد مجازا قول الله تعالى: {**إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم**} سورة التوبة (الآية:9).

[94] **قال المصنف:** "إن من تمام السنة وكمالها قبول خبر الواحد، والاستمساك به، والعمل بموجبه، إذا حدث به الثقة المعروف عن مثله إلى أن يصل الإسناد بالصحابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك إذا لم يعارضه خبر مثله، ولا نسخه أثر، ولا اتفق الجميع على ترك استعماله؛ قال الله عز وجل: {**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة**}، فدل على أن العدل لا تَثَبُّت في خبره، إذ لو كان الفاسق والعدل سواء، لم يكن لتخصيص الفاسق بالذكر فائدة، وقد عملت الصحابة في القبلة بخبر الواحد، وتحريم المسكر، وغير ذلك، وكذلك من بعدهم من التابعين والخالفين" (ص:130).

وقال شيخنا: من عقائد أهل السنة الإيمان بكل ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأحاديث سواء أكانت متواترة أو آحادية، وقد سبق موقف المعتزلة من أخبار الآحاد، كما أن داود الظاهري وإن تأثر بالمعتزلة في نفي القياس في الأحكام إلا أنه مخالف لهم في باب العقائد وفي الحكم بأخبار الآحاد، وقد انتقلت هذه العدوى إلى المتأخرين من الأشاعرة فصار من الشائع عندهم عدم صحة بناء العقائد على أخبار الآحاد لأنها لا تفيد إلا الظن، وآخر من قال بهذا من الكتاب المعاصرين الشيخ شلتوت رحمه الله في كتابه (الإسلام عقيدة وشريعة)، وقد رد عليه كل من السيد أحمد الغماري ابن الصديق والسيد ناصر الدين الألباني من محدثي هذا العصر. انظر:

61- فَمِنْ صَحِيحِ مَا أَتَى بِهِ الأَثَرْ   وَشَاعَ فِي النَّاسِ قَدِيماً وَانْتَشَرْ
62- نُزُولُ رَبِّنَا بِلاَ امْتِرَاءِ   فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ
63- بِغَيْرِ مَا حَدٍّ كَيْفِ   سُبْحَانَهُ مِنْ قَادِرٍ لَطِيفِ(95)
64- وَرُؤْيَةُ الْمُهَيْمِنِ الْجَبَّارِ   وَأَنَّهُ نَرَاهُ بِالأَبْصَارِ

رسالة الألباني (الحديث حجة بنفسه). **قلت**: وانظر أيضا: كتاب "خبر الواحد.."؛ لشيخنا الفقيه القاضي برهون حفظه الله.

(95) **قال المصنف**: "ومن قولهم: إن الله جل جلاله وتقدست أسماؤه يترل في كل ليلة إلى السماء الدنيا في الثلث الباقي من الليل، فيقول "هل من داع يدعوني فأستجيب له، وهل من سائل يسألني فأعطيه، وهل من مستغفر يستغفرني فأغفر له"، حتى ينفجر الصبح،... ونزوله تبارك وتعالى كيف شاء، لا حد تكييف ولا وصف بانتقال ولا زوال" (ص:57).

وقال شيخنا: يقابل أهل السنة في هذا الباب أهل الأهواء من أهل الكلام؛ فمنهم من نفى صفات الله ومن ضمنها صفة الترول كالمعتزلة، ومنهم من أولها بترول رحمته كالمتأخرين من الأشاعرة أمثال الغزالي والرازي، وحديث الترول كآيات الاستواء هي من الأشياء التي يرفض معناها محدث العصر بالمغرب؛ السيد عبد الله بن الصديق الغماري، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك عند تعليقه على حديث الجارية في الموطأ دون أن يلتفت إلى ما قرره ابن عبد البر في موضوعه مما يتفق ومذهب أهل السنة في الصفات وليس ذلك عن سهو منه، ولكن عن اعتقاد وتقليد لما سطره الشيخ زاهد الكوثري في بعض كتبه.

قلت: وقد أثبت الإمام أبو الحسن الأشعري صفتي الترول والاستواء وغيرهما من الصفات الفعلية والخبرية، ورد على منكريها من المعتزلة وعلى متأوليها من الكلاميين؛ انظر كتبه: "الإبانة عن أصول الديانة"، و"رسالة إلى أهل الثغر"، و"مقالات الإسلاميين".

65- يَوْمَ القِيَامَةِ بِلاَ ازْدِحَامِ   كَرُؤْيَةِ البَدْرِ بِلاَ غَمَامِ(96)
66- وَضَغْطَةُ القَبْرِ على الْمَقْبُورِ(97)   **وَفِتْنَةُ الْمُنْكَرِ وَالنَّكِيرِ**(98)
67- وَنَحْوُ هَذَا مِنْ أُصُولِ الدِّينِ   كَالجَائي في الصِّفَاتِ وَاليَمِينِ(99)
68- وَكَالذي جَاءَ مِنَ البَيَانِ   في الحَوْضِ وَالصِّرَاطِ وَالمِيزَانِ(100)

---

(96) **قال المصنف:** "ومن قولهم: أن الله سبحانه وتعالى يتجلى لعباده المؤمنين في المعاد، فيرونه بالأبصار..."، ثم ساق أدلة هذه العقيدة (ص:77).

وقال شيخنا: "ومع هذه النصوص الصريحة الثابتة خالف المعتزلة أهل السنة في ثبوت رؤية الله في الآخرة فأولوا قول الله تعالى: {**إلى ربها ناظرة**} بحمل {**إلى**} على النعمة، وحمل {**ناظرة**} على منتظرة، وهذا تأويل مضحك، إنما حملهم عليه نفيهم الجهة عن الله، [وإذا] كانت الجهة مستحيلة فالرؤية كذلك مستحيلة، وقد احتجوا أيضا بقول الله تعالى: {**لا تدركه الأبصار**} وقوله لموسى: {**لن تراني**} ونسوا أن محل ذلك الدنيا".

قلت: الجهة لفظ مجمل لم يستعمله النص، فلا ننفيه ولا نثبته إلا بعد الاستفصال عن معناه؛ انظر: مقدمة الشيخ الألباني لكتاب مختصر العلو.

(97) من عقائد أهل السنة الإيمان بضغطة القبر للمقبور، وقد ورد في حديث البراء الطويل أن المؤمن يفسح له في قبره مد البصر وأن الكافر يضيق عليه حتى تختلف أضلاعه. انظر شرح الطحاوية (ص:449).

(98) من عقائد أهل السنة الإيمان بسؤال المنكر والنكير، وقد ورد ذلك في حديث البراء السابق. انظر شرح الطحاوية (ص:447).

(99) **قال المصنف:** "وهذا دين الأمة، وقول أهل السنة في هذه الصفات؛ أن تمر كما جاءت بغير تكييف وتحديد" (ص:58).

(100) ذكر الناظم في هذا البيت ثلاثة أشياء مما يعتقده أهل السنة: أولها: الحوض، وهو عبارة عن مورد كريم وحوض عظيم، والأحاديث التي وردت في الحوض بلغت حد التواتر، أشهرها قول الرسول

69- وَالعَــرْشِ وَالكُرْسِيِّ وَالحِسَابِ وَالعَــرْضِ وَالثَّوَابِ وَالعِقَابِ[101]
70- وَالكُتْــبِ وَالسُّــؤَالِ وَالشَّفَاعَةِ فِي كُلِّ عَــاصٍ تَارِكٍ لِلطَّاعَةِ[102]
71- مِنَ الْمُــوَحِّدِينَ أَهْــلِ القِبْلَــةِ إِذْ كُلُّــهُمْ مُسْتَمْسِــكٌ بِالمِلَّةِ[103]

صلى الله عليه وسلم: (**ليردن علي ناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول أصحابي فيقول لا تدري ما أحدثوا بعدك**) رواه البخاري ومسلم، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**أنا فرطكم على الحوض**) رواه البخاري. انظر لذلك شرح الطحاوية (ص:251).

وثانيها: الميزان، وفي شأنه يقول الله تعالى في سورة الأنبياء (الآية:41): {**ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا**}، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم: (**الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان**). انظر لذلك شرح الطحاوية (ص:472).

وثالثها: الصراط، وفي شأنه يقول الله تعالى في سورة مريم (الآية:17) {**وإن منكم إلا واردها**}. ينظر شرح الطحاوية (ص:469).

[101] في هذا البيت ذكر الناظم العرش والكرسي والحساب والعرض على الله والثواب والعقاب وكلها من الأمور الثابتة بالقرآن والسنة، ومن المغيبات التي تندرج في الإيمان باليوم الآخر، فأهل السنة يؤمنون بها لأنها من الممكنات ومما أخبر به الصادق المصدوق، وأهل المروق والإلحاد من الفلاسفة والمعتزلة ينكرونها بدعوى أنها لم تثبت بالعقل. ينظر شرح الواسطية (ص:141).

[102] ذكر الناظم في هذا البيت الكتب بمعنى صحف الأعمال وسؤال القبر والشفاعة الثابتة للعصاة من المؤمنين، وهذه أيضا من عقائد أهل السنة، وأنكرها الخوارج والمعتزلة، لأن مذهبهم أن من استحق النار دخلها، ومن دخلها لا يخرج منها بشفاعة ولا بغيرها، والأحاديث المستفيضة ترد زعمهم وتبطله. ينظر شرح الواسطية (ص:150).

[103] الشفاعة المذكورة هنا والتي أنكرها الخوارج هي نوع من الشفاعات العامة، وهي لمن مات من عصاة المؤمنين وفي قلبه مثقال حبة خردل من الإيمان، وأما الشفاعة الكبرى في الموقف وكذا الشفاعة لأهل الجنة بالدخول فلا ينكرها الخوارج. ينظر: شرح الواسطية (ص:150) وشرح الطحاوية (ص:258).

72- فَيَتَمَتَّعُونَ فِي الجِنَانِ   بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنَ النِّيرَانِ(104)
73- كَمَا أَتَى ذَلِكَ فِي الأَنْبَاءِ(105)   بُعْداً لأَهْلِ الزَّيْغِ وَالأَهْوَاءِ(106)
74- مَا ذَا يَرُدُّونَ مِنَ الآثَارِ(107)   فَهُمْ كَمَا جَاءَ كِلاَبُ النَّارِ(108)

---

(104) ذكر الناظم في هذا البيت خروج أهل الكبائر من النار بشفاعة الشافعين، وأعظم الشافعين [من المخلوقين] الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا النوع من الشفاعة يشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون الصالحون، ومن أدلة أهل السنة على هذا النوع من الشفاعة قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**) [رواه أبو داود وصححه الألباني]، وأما الخوارج والمعتزلة فقد خالفوا في ذلك جهلا بصحة الأحاديث وعنادا ممن علم ذلك منهم واستمر على بدعته. ينظر شرح الطحاوية (ص:258).

(105) يشير الناظم بذلك إلى الأحاديث الكثيرة المتواترة في موضوع الشفاعة بأنواعها وفي هذا النوع بالخصوص.

(106) يشير الناظم هنا إلى الخوارج والمعتزلة، سماهم أهل الزيغ والأهواء، لأن خلافهم في مجال العقائد لم يكن من النوع السائغ الذي يعذر صاحبه ويؤجر بأجر واحد كما هو شأن الخلاف في الفروع.

(107) في هذا البيت تعليل لزيغ الخوارج والمعتزلة في موضوع الشفاعة؛ ذلك أنهم تمسكوا ب[فهمهم الخاص ل] قوله تعالى: {**فما تنفعهم شفاعة الشافعين**} المدثر (الآية:48)، وقوله تعالى: {**ولا تنفعها شفاعة**} البقرة (الآية:123)، وردوا الأحاديث الصحيحة الصريحة بدعوى أنها أخبار آحاد. ينظر شرح الواسطية (ص:149).

(108) يشير الناظم بهذا إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي في سنن ابن ماجه: (**الخوارج كلاب النار**) والذي أخرجه أحمد والحاكم بسند حسن بلفظ: (**ألا إنهم كلاب أهل النار**) يعني الخوارج. انظر: السنة لابن أبي عاصم (438/2).

75- يُعَطِّلُونَ شِرْعَةَ الإِسْلاَمِ   وَمَالَهُمْ فِي الدِّينِ مِنْ إِمَامِ(109)
76- كَمْ أَحْدَثُوا مِنْ بِدْعَةٍ فِي الدِّينِ(110)   وَأَنْكَرُوا مِنْ خَبَرٍ يَقِينِ(111)
77- وَحَرَّفُوا مِنْ مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ(112)   وَاخْتَرَعُوا مِنْ بَاطِلِ التَّأْوِيلِ

---

(109) يقصد الناظم رحمه الله بتعطيل شرعة الإسلام من طرف أهل الأهواء: رد الأحاديث الصحيحة وتأويل الآيات الصريحة؛ ذلك أنهم فتنوا بالحجة العقلية اليونانية وقدموها على نصوص الوحي، هذا ومما يعد عيبا ونقصا في العلم الديني أن يأخذه المتعلم من غير أهله ومن غير المهذبين بآدابه كالمعتزلة والمرجئة والرافضة، وفي هؤلاء يقول ابن تيمية: (ولهذا تجد المعتزلة والمرجئة والرافضة وغيرهم من أهل البدع يفسرون القرآن بعقولهم، وما تأولوه من اللغة، وتجدهم لا يعتمدون على أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة والتابعين). مجموع الفتاوي لابن تيمية (119/7).

(110) في هذا البيت الإشارة إلى كثرة البدع التي أحدثها أهل الأهواء في الإسلام واستوجبت بغضهم ومحاربتهم وتعزيرهم، والمقصود بتلك البدع هو آراء الفرق في كل مسألة من مسائل الدين مثل المترلتين ومثل تخليد العصاة في النار ونكران الشفاعة، ومثل الجبر والكسب وغير ذلك مما يعارض عقائد أهل السنة في الموضوع.

(111) يشير بذلك إلى رد المعتزلة أخبار الآحاد بدعوى أنها لا تفيد العلم، وقد أصبح هذا الآن مذهبا لأتباع المذاهب الأربعة وأهل الأصول المتأخرين تأثرا بتيار المعتزلة، مع العلم بأن مذهب جماهير المحدثين والأصوليين الأقدمين أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول يفيد العلم ويصلح حجة في العقائد والأحكام. انظر تفصيل ذلك في منجد المقرئين (ص:19). وفي جمع الجوامع-الكتاب الثاني في السنة.

(112) هناك آيات محكمات أولها المعتزلة تأويلا يتفق مع منهجهم العقلي كقوله تعالى: {**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**} سورة القيامة (الآية:23) في باب الرؤية، وكقوله تعالى: {**فتبارك الله أحسن الخالقين**} سورة المؤمنون (الآية:14) في باب أفعال العباد، وهذا النوع من التأويل هو الذي عناه الشيخ الداني بالتحريف، وإنما سمي تأويلا باطلا لأنه حمل اللفظ على غير ظاهره بلا دليل.

78- وَزَخْرَفُوا مِنْ كَذِبٍ وَ زُورِ(113) وَاسْتَهْزَؤُوا بِالوَارِدِ المَسْطُورِ(114)
79- عَنِ النَّبِيِّ وَعَنِ الكِرَامِ أَصْحَابِهِ فِي العَقْدِ(115) وَالأَحْكَامِ
80- قَدْ أَنْكَرُوا سُخْفاً نُزُولَ عِيسَى(116) وَشَأْنُهُ تَعْساً لَهُمْ وَبُؤْسَا

---

(113) يشير بذلك إلى أقيستهم العقلية المنطقية التي آثروها عل نصوص الكتاب والسنة، فهي كذب وزور وإن لم يقصد بها أهلها ذلك.

(114) يشير الناظم إلى إعراض أهل الكلام عن دلائل الكتاب والسنة وتحكيم الحجة المنطقية في قبولها أو ردّها، فالمعتزلة وغيرهم من أهل الكلام يؤولون الأدلة القرآنية ويردون أحاديث الآحاد كما سبق.

(115) يشير الناظم هنا إلى منهجية السلف في العقائد والأحكام؛ فهم يقبلون في الميدانين الحديث الصحيح سواء أكان آحاديا أم متواترا ولا يفرقون بينهما لا في العقائد ولا في الأحكام.

(116) نزول عيسى عليه السلام عقيدة من عقائد أهل السنة لأنها مما يندرج تحت ما صحت به الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه العقيدة من جملة العقائد التي أنكرها المعتزلة وأولوها بما يتفق ومنهجهم العام في الإيمان بالغيبيات، ومما أولوا به نزول عيسى عليه السلام اندفاع الشر وبدو الصلاح، وهذا النوع من التأويل مما اعتبره الشيخ الداني تحريفا للنصوص ونوعا من الباطل الذي تبعته طوائف من المبتدعة كالمعتزلة والجهمية والمرجئة في العصور الأولى للإسلام، وأما اليوم فقد انتقل هذا النوع من التأويل إلى طوائف من خلف أهل السنة فصار منهجا مثاليا لهم في فهم العقائد الإسلامية، وممن اختار هذا المنهج اليوم الشيخ شلتوت غفر الله له متأثرا بمن قبله من علماء الأشاعرة المتأخرين كالسعد صاحب المقاصد والشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا والشيخ المراغي، فكل هؤلاء من الأشاعرة بلا شك، وإذا عُلم ذلك علم أن ما كان يستنكره الداني على الطوائف المبتدعة قديما قد أصبح اليوم منهجا لخلف أهل السنة أنفسهم، وهو رد أحاديث الآحاد واعتبارها لا تفيد العلم اليقيني، ومسألة رد أحاديث الآحاد مشكلة كبرى من المشاكل التي ابتليت بها طوائف أهل الكلام والأصوليون المتأخرون لدرجة أن الشيخ شلتوت اعتبرها مسألة مجمعا عليها في كتابه (الإسلام عقيدة وشريعة) (ص:60) وكتابه (الفتاوى) (ص:65)، مع

81- وَأَنْكَرُوا الدَّجَّالَ(117) وَالأَشْرَاطَا   وَأَسْقَطُوا جَمِيعَهَا إِسْقَاطَا
82- فَالحَمْدُ للهِ الذي هَدَانَا   لِوَاضِحِ السُّنَّةِ وَاجْتَبَانَا(118)
83- فَهَذِهِ عُقُودُ أَهْلِ السُّنَّةْ   فَالْتَزِمَنْهَا وَارْجُوَنَّ الجَنَّةْ(119)

تم بحمد الله

ملاحظة الفرق بين قصد الشيخ الداني وقصد الشيخ شتلوت في رد أحاديث الآحاد، فالداني يقصد تبديع من أنكرها والشيخ شلتوت يقصد أن من أنكرها لا يعد كافرا بل متأولا مأذونا له في التأويل ونسي أن للتأويل المقبول شروطا.

(117) إنكار عقيدة الدجال وبقية أشراط الساعة مرتبط بعقيدة نزول عيسى عند من ينكرها وفي كلام شتلوت (ص:68) من فتاواه دليل على إنكارها.

(118) لم يسع الشيخ الداني إلا أن يعلن الحمد لله الذي نجاه من فتنة تأويل النصوص تأويلا فاسدا لأنه من أعظم الفتن.

(119) من المقاصد الصحيحة عند أهل السنة؛ طلب الفوز بالجنة والنجاة من النار خلافا لمن ينكرها من غلاة الصوفية ويعكس. انظر: مدارج السالكين لابن القيم (47/2) وما بعدها.

مع تحيات إخوانكم في الله
ملتقى أهل الحديث
ahlalhdeeth.com
خزانة التراث العربي
khizana.co.nr
خزانة المذهب المالكي
malikiaa.blogspot.com

عقود أهل السُّنَّة للإمام أبي عمرو الداني

(منتخب من متن المنبهة)

هذا الكتاب

يعتبر المقرئ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني المالكي (371 - 444هـ/ 981 - 1052 م): أحد أعلام الأمة وأئمتها الكبار الذين أنتجهم القطر الأندلسي. له مؤلفات كثيرة زادت على (150) مصنفا، جلها في علم القراءات والتجويد؛ من أهمها: أرجوزة "المنبهة"؛ وهي عبارة عن شعر من الرجز، عدد أبياته: (1304)، وموضوعها: أسماء القراء والرواة وأصول القراءات وأحكام التجويد وعقد الديانات، ذكر الإمام الحميدي أنها نظم لسائر مؤلفاته، وقال شيخنا الدكتور لحسن وجاج: "تعتبر المنبهة من التراث المغربي الأصيل في ميدان عقائد أهل السنة وفي آداب رواية العلم وفي أصول القراءات وفي تجويد القرآن الكريم، وتتمثل هذه الأصالة في كونها أصلا لغالب ما ألفه المغاربة في هذا المجال"اهـ.

وقد قام شيخنا بتحقيق نصها على أربعة نسخ خطية، وعلق عليها تعليقات مفيدة وافية، وتوج ذلك بدراسة عميقة ضافية، ولم يكتب طبع الكتاب إلا في ربيع الأول من عام (1430هـ)، وكانت قد طبعت قبل عام (1420) بعناية الأستاذ محمد بن مجقان: أحد الإخوة الجزائريين جزاه الله خيرا، وقد اعتمد في طبعته على نسختين خطيتين.

وقد انتخبت من هذا الشعر العلمي الأصيل: الأبيات المتعلقة بالعقيدة: وعدتها (88) بيتا، ذكرها الداني في الترجمة رقم (22، 23، 24) من تراجم أرجوزته. وحليت تلك الأبيات بتعليقات نفيسة من المصدرين التاليين:

1- كتاب "الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات"، للمصنف نفسه (الداني).

2- تعليقات شيخنا وجاج على متن المنبهة.